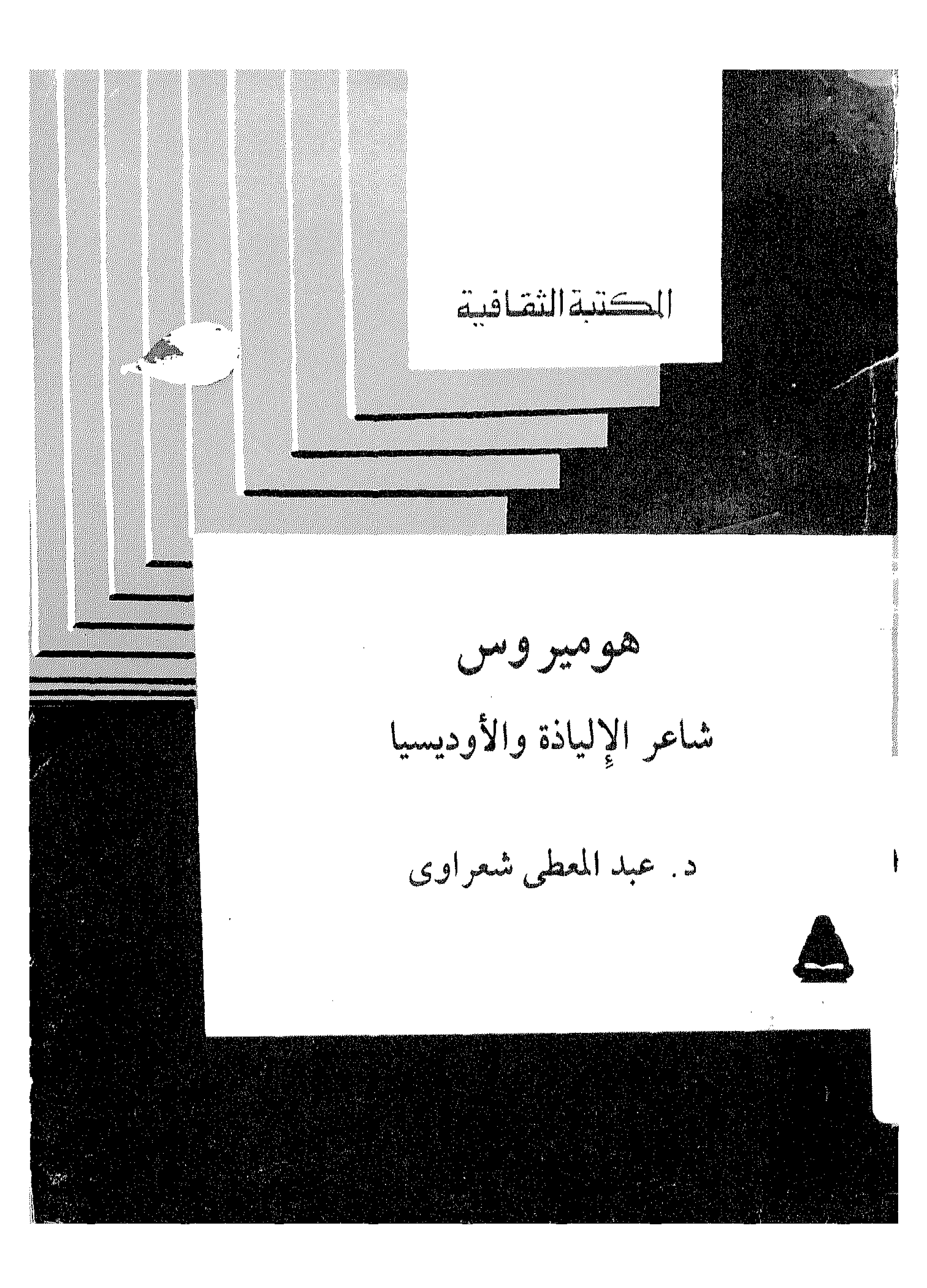


المكتبة الثقافية
هوميروس
شاعر الإلياذة والأوديسيا
د. عبد المعطى شعراوى

إهـــــــداء ٢٠٠٦

الدكتورة / ضياء محمود أبو غازي

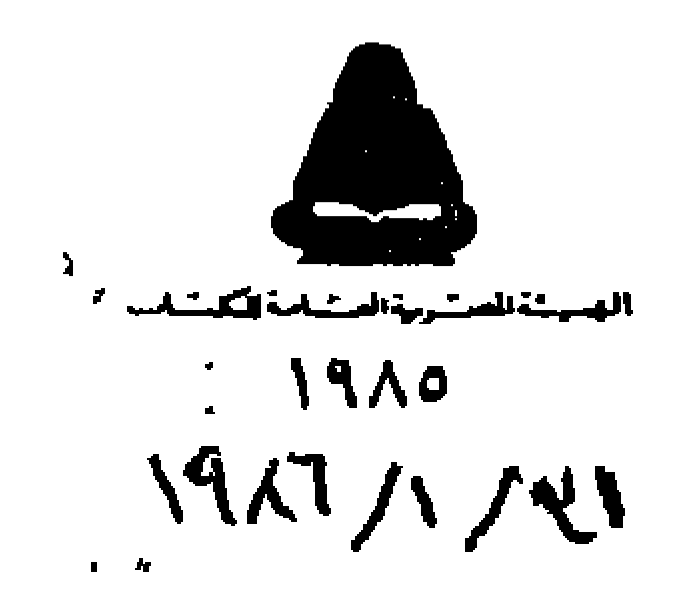
القاهرة

المكتبة الثقافية

هوميروس

شاعر الإلياذة والأوديسا

بقلم : الدكتور عبد المعطى شعراوى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٥

الى زهرة اذبلتها الايام فى ريعان الشباب

الى شعلة خبت جذوتها قبل الاوان

الى روح طاهرة سرعان مالقيت خالقها

الى أستاذى الدكتور محمد صقر خفاجه

د. عبد المعطى شعراوى

مقدمة ..

كم حصلت الالياذة والأوديسا من اعجاب على مدى الأجيال ، وكم كان لهما من التأثير على كافة الأعمال الأدبية والفنية عبر الأجيال التالية . ان هاتين الملحمتين الخالدتين كانتا وما زالتا حتى اليوم رمزا لفن من الفنون الخالدة ، وأنموذجا للعمل الفنى الناضج ، ودليلا على صحة المثل القائل « حياة الانسان قصيرة ، والعمل الفنى خالد » .
وانني اذ أكتب اليك ـ أيها القارىء العربى الكريم ـ عن هاتين القصيدتين فى ذلك الايجاز وتلك البساطة، المتصفتين بالعمق والأصالة وشدة التركيز ، واللتين تمتاز بهما أغلب مطبوعات « المكتبة الثقافية » ـ اننى اذ أفعل ذلك ، لمدرك تمام الادراك مدى صعوبة المهمة التى أنا مقبل عليها .
فبقدر ما أثارت الالياذة والأوديسا من اعجاب وأحدثت من

تأثير كان ما أثارت من مناقشات وأحدثت من خلافات بين علماء العالم ومفكريه فى كل مكان وفى كل عصر ۰ فمن قائل : إن هوميروس لم ينظم هاتين القصيدتين ، بل جمع عددا من القصـائد القصيرة التى تتناول احداثا لها علاقة بحرب طروادة ورتبها وربط بينها وقسمها الى مجموعتين الأولى تدور أحداثهـا حول غضب أخيليوس والثانية حول عـودة أودوسيوس ، ومع مضى الزمن أطلق على المجموعة الأولى اسـم الالياذة والثانية الأوديسـا ۰ ومن قائل : ان هوميروس لم ينظم سوى الالياذة فقط ، بينما نظم شـاعر غيره الأوديسا التى نسبت خطأ بعد ذلك الى هوميروس ۰ ومن قائل: ان هوميروس لم يكن سوى منشد احترف انشاد الأشعار الفولكلورية ، ثم جمعت تلك الأشعار بعد ذلك بواسطة أشخاص آخرين ونسبت خطأ الى هوميروس ۰ كما أن هناك أيضا من يثير الشك حول اسم هوميروس نفسه، فيجادل بأن لفظ هوميروس ـ ومعناه الأعمى ـ ليس الا لقبا لقب به منشد أو شاعر أعمى كما يحـدث بين كافة الأقوام ولم يحفظ التـاريخ الاسم الحقيقى فأصبح ذلك المنشد أو الشاعر يعرف بلقبه فقط ۰ بل وأكثر من ذلك فان هناك من ينكر وجود شخص سمى أو لقب هوميروس ، ويجادل بأن هوميروس ليس الا شخصية وهمية جالت فى

خيال القدماء طيفا استطاع أن يسيطر على ألبابهم فأصبح شخصية شبه حقيقية فرضت وجودها فيما بعد على اغلب العلماء ومؤرخى الأدب فى العصور الحديثة ·

ومهما اختلفت الآراء حول شخصية مؤلف الالياذة والأوديسا ، ومولده ، وسيرته ، وتحديد العصر الذى عاش فيه ، ومدى علاقته بالأحداث التى تتناولها الملحمتان ، ومدى ما أسهم به فى سبيل اخراجهما الى حيز الوجود ـ مهما اختلفت الآراء وتعددت ومهما بدت معظم الحقائق اليوم مهددة بالضياع ، فان هناك حقيقة واحدة لا ينكرها أحد ، هو وجود درتين رائعتين تزداد قيمتهما على مدى الأجيال ·
وقد لا يهم قارىء «المكتبة الثقافية» كثيرا ان كان هوميروس هو الذى نظم الالياذة والأوديسا ، أو نظم الالياذة فقط ، بل كل ما يهمه هو الالياذة والأوديسا فى حد ذاتهما وبحالتهما الراهنة · لذلك فان الهدف من هذا الكتيب هو تقديم هاتين الملحمتين لقارىء « المكتبة الثقافية » ، لعله يجد فى هذا التقديم ما يغريه على محاولة العودة الى النصوص الكاملة للملحمتين ومتابعة ما يتعلق بهما من دراسات · ولعل ما يحبذ أيضا فكرة عدم التعرض لمؤلف الالياذة والأوديسا ومكانته فى العصور القديمة والحديثة هو ظهور كتابين باللغة العربية قدما الى القارىء العربى

بعض المعلومات ، التى قد تبدو كافية الى حد ما فى الوقت الحاضر ، والتى تعرض مؤلفاها لدراسة هذا الموضوع · أول هذين الكتابين هو كتاب « هوميروس ــ شاعر الخلود » ، تأليف الدكتور محمد صقر خفاجه ، والذى صدر فى عام ١٩٥٦ عن دار نهضة مصر بالقاهرة · انه يتعرض لحياة هوميروس والمشكلة الهومرية وتأثير هوميروس على الكتاب والأدباء فى العصور القديمة والحديثة مع ترجمة لبضع فقرات قصيرة من كل من الملحمتين · وثانيهما كتاب « هوميروس ــ تاريخ حياة عصر » ، تأليف الدكتور لطفى عبد الوهاب يحيى ، والذى صدر فى عام ١٩٦٨ عن مركز التعاون الجامعى بالاسكندرية · انه يتعرض فى ايجاز لحياة هوميروس والمشكلة الهومرية أيضا لكنه يهتم بدراسة مادة الالياذة والأوديسا ومدى علاقتها بالتاريخ · واذ أنه ليس من الممكن حتى الآن الأخذ برأى نهائى حول مؤلف الالياذة والأوديسا ، واذ أنه من الصعب أيضا أن يتحاشى المرء ذكر المؤلف أثناء حديثه عن هاتين القصيدتين ، فقد رأيت من الأفضل استخدام كلمة هوميروس للدلالة على مؤلف ــ أو مؤلفى ــ الالياذة والأوديسا · فان لم يكن هوميروس اسما لشخصية حقيقية قامت بنظم احدى الملحمتين أو كلتيهما

فلا أقل من أن يكون رمزا للعبقرية المجهولة التى أخرجت هاتين الملحمتين الى حيز الوجود ·

واننى لأرجو الله عز وجل أن يحقق هذا التقديم الموجز للالياذة والأوديسا الغرض المرجو والأمل المنشود ·

القاهرة ١٩٧١ ·

دكتور عبد المعطى شعراوى

كيف وصلتنا نصوص الالياذة والأوديسا ؟

تنقسم كل من الالياذة والأوديسا ـ كما نعرفها اليوم ـ الى أربعة وعشرين جزءا ، أو ـ كما سماها النقاد القدامى ـ أربع وعشرين أنشودة • ولم يلازم هذا التقسيم الملحمتين منذ بداية ظهورهما ، بل تم تقسيمهما على هذا النحو بواسطة نقاد لاحقين على عصر هوميروس • ومن الملاحظ أن كل أنشودة من هذه الأناشيد كان يرمز لها بحرف من الحروف الأبجدية الاغريقية الأربع والعشرين • كان يرمز لأناشيد الالياذة بحروف كبيرة ولأناشيد الأوديسا بحروف صغيرة • فمثلا كان يرمز للأنشودة الأولى من الالياذة بالحرف A ، بينما كان يرمز للأنشودة الأولى من الأوديسا بحرف a • ولعل ذلك يؤكد أن هذا التقسيم ظهر بعد أن اكتمل تطور الأحرف الأبجدية الاغريقية وأصبح عددها أربعا وعشرين حرفا • ويرى العلماء أن عملية التقسيم قام بها العالم السكندرى زينودوتوس ، الذى ولد عام ٣٢٥ ق • م • تقريبا ، والذى

عين اول مدير لمكتبة الاسكندرية عام ٢٨٤ ق ٠ م ٠ ولقد قام زينودونوس بأول محاولة علمية لنشر اشعار هوميروس عن طريق مضاهاة عدد لا بأس به من المخطوطات التى كانت معروفة فى عصره٠ كما قام أيضا باجراء عديد من التعديلات وحذف بعض الأبيات واضافة بعض أبيات أخرى لم تكن موجودة فى أغلب المخطوطات التى عثر عليها ٠

وتنتهى كل أنشودة عادة مع نهاية جزء مستقل من أجزاء الحـدث فى كل من الملحمتين ، وربما يتفق هـذا التقسيم مع أسلوب تقسيم المنشدين لأجزاء الحدث فى كل من الملحمتين أثناء روايتها ، فمثلا تنتهى الأنشودة الأولى من الالياذة وتبدأ الثانية منها بعبارات تقليدية اعتاد أن يبدأ بها المنشدون وأن يختتموا بها أيضا روايتهم ٠ لكن مما هو جدير بالذكر أن نهاية الأنشودة الأولى قد تبدو متناقضة مع بداية الأنشودة الثانية ٠ فالأولى تنتهى بهذه العبارة « عندئذ ذهب زيوس الى فراشه لينام ٠٠ » بينما تبدأ الثانية بهذه العبـارة « والآن يسـيطر النعاس على جميع الآلهة والبشر ، أما زيوس فلم يدرك النعاس عينيه » كذلك تنتهى الأنشودة التـاسعة من نفس الملحمة بهذه العبارة « وما أن انتهى ديوميديس من حديثه٠٠ حتى ذهب قادة الاغريق كل الى مأواه لينعم بالنوم اللذيذ » ، بينما تبدأ الأنشودة العاشرة بهذه العبارة « لقد قضى قادة الاغريق الليل بجـوار سـفنهم دون أن تنعم جفونهم بالنـوم اللذيذ » ٠ كما أن الأنشودة الخامسة من الأوديسا تعيد

رواية تفاصيل الاجتماع الذى عقده الآلهة والذى سبق روايته فى بداية الأنشودة الأولى ٠ وتتكون الالياذة من ١٥٦٩٣ بيتا والأوديسا من ١٢٢١٠ بيتا ، ويتراوح عدد أبيات الأنشودة الواحدة فى الملحمة الأولى بين ٤٦١ بيتا (الأنشودة الثالثة) و ٩٠٩ بيتا (الأنشودة الخامسه) وفى الثانية بين ٣٣١ بيتا (الانشودة السادسة) و ٨٤٧ بيتا (الأنشودة الرابعة) ٠

ورغم معارضة نفر قليل من مؤرخى الأدب ، فمن المرجح أن الالياذة والأوديسا خرجتا الى حيز الوجود فى وقت كانت فيه الكتابة والتدوين قد تم ابتكارهما ٠ واذا لم يكن هوميروس هو أول من استخدم الكتابة فى تدوين اشعاره فانه على الأقل قد نظمها فى عصر لم يكن التدوين قد أصبح شيئا مألوفا ، اذ أن الطابع الشفاهى يغلب على صياغة كل من الملحمتين ٠ لكن ذلك لا يعنى أن اشعار هوميروس دونت ونشرت على نطاق واسع فور صدورها ، بل كان يتناقلها جماعة من المنشدين من جيل الى جيل عن طريق الرواية ٠ ولعل ما يؤكد نشـــاط وفاعلية هؤلاء المنشدين والرواة هو ما ترويه المصادر القديمة من أن واحدا من أبناء بيسيستراتوس أصدر أوامره ـ أثناء الربع الأخير من القرن السادس قبل الميلاد ـ بأن تنشد جميع أشعار هوميروس كاملة أثناء أعياد الباناثينايا بواسطة مجموعات من المنشـــدين ٠ ربمـــا اعتمد هؤلاء الرواة والمنشدون على نسخة مخطوطة لأشـعار هوميروس كانوا

يتوارثونها جيلا بعد جيل • فان كان الأمر كذلك ، فان هؤلاء الرواة والمنشدين لابد وأنهم لعبوا دورا هاما وخطيرا فى نشر أشعار هوميروس• كما أن انشاد الأشعار لهوميرية أثناء أعياد الباناثينايا ليؤكد أهمية الدور الذى لعبته مدينة أثينا أيضا فى نشر تلك الأشعار •

لقد ظهرت مجموعات متعددة من العلماء تسابقت فى دراسة وتفسير الأشعار الهوميريه منذ العصور المبكرة للتاريخ الاغريقى • ففى القرن السادس قبل الميلاد ظهر ثياجينيس الريجى وهو أول من قام بدراسة أشعار هوميروس • تم واصلت تلك المجموعات ما بدأه ثياجينيس، فظهرت كتابات ستسيخوروس الثوآسى فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وكريتيس المالوسى فى القرن الثانى قبل الميلاد • واستمر اهتمام العالم القديم بدراسة أشعار هوميروس منذ ذلك الوقت حتى عصر العالم البيزنطى تزتزيس الذى عاش فى القرن الثانى عشر بعد الميلاد • ولم تجذب أشعار هوميروس انتباه النقاد ومؤرخى الأدب الاغريق فقط ، بل وجذبت انتباه فلاسفتهم أيضا مثل ديموكريتوس الذى أنشأ مقالا رائعا عن لغة هوميروس ، وأفلاطون وأرسطو اللذين دأبا على مناقشة الأشعار الهوميرية والاستشهاد بفقرات منها • وفى العصر السكندرى ارتبطت أشعار هوميروس بأسماء ثلاثة من كبار علماء الاسكندرية : زينودوتوس (أوائل القرن الثالث قبل الميلاد) وأريستوفانيس البيزنطى (٢٥٧ ـ ١٨٠ق•م•)

وأريستارخوس الثاموثريسي (٢١٧ ـ ١٤٥ق٠م٠) ، الذين عكفوا على تحقيق نصوصها ودراستها والتعليق عليها كل بطريقته الخاصة وحسب مفهومه الخاص ٠ وأثناء العصور الرومانية لم يكف العلماء والنساخ عن دراسة تلك الأشعار ونشرها والتعليق عليها ، فظهر عدد لا حصر له من المعلقين ، الذين لم يأخذوا برأى علماء الاسكندرية ، وأهمهم : أرتونيكوس الذى عاش فى عصر الامبراطور أوغسطس ومعاصره ديديموس ، وهيروديانوس الذى عاش أثناء حكم الامبراطور ماركوس أوريليوس ، ومعاصره نيكانور ٠ ولقد قام عالم غير معروف ـ يدعى نميسيون فى العصر البيزنطى ـ بجمع كل تلك التعليقات ، التى كتبها هؤلاء العلماء الأربعة كل من وجهة نظره الخاصة ، ونقشها على ألواح فخارية ظلت باقية حتى اكتشفت بعد نهاية القرون المظلمة فى أوربا ٠ ثم واصل النساخ بعد ذلك نسخ الأشعار الهوميرية وجمع التعليقات اللغوية والشروح التى أنشأها المعلقون والشراح المتعاقبون ، حتى أصبح لدينا الآن حصيلة لا بأس بها من المخطوطات التى ساعدت النقاد فى العصر الحديث على دراسة الملحمتين ٠

وأقدم طبعة للأشعار الهوميرية هى التى نشرها ديمتريوس خالكونديلوس فى فلورنسا عام ١٤٨٨ م ، ثم تبعتها طبعة ألدين عام ١٥٠٤ م ٠ بعد ذلك توالت طبعات متعددة لا يمكن حصرها فى هذا المكان الضيق ٠ ولكن حتى تكتمل الفائدة المرجوة من هذا الكتيب ، فلا بأس من

الاشارة الى عدد ضئيل ـ على سبيل المثال ـ من الطبعات الهامة التي يستطيع القارىء الحديث أن يعتمد عليها ٠ فمن أفضل الطبعات التى ظهرت فى انجلترا طبعة د٠ب٠ مونروورت ٠ و ٠ ألن للالياذة (الطبعة الثالثة، أوكسفورد، عام ١٩٢٠) ، وطبعة ت٠ و ٠ ألن للأوديسا (الطبعة الثانية ، أوكسفورد ، عام ١٩١٩) ، وفى ألمانيا الطبعة التى أعدها برونو سنل وأصدرتها دار برلين ـ درامشتات فى عام ١٩٥٦ ، وفى فرنسا الطبعة التى قام بتحقيقها ب٠ مازون ونشرها ضمن مطبوعات جامعة باريس عام ١٩٤٩ ، وفى ايطاليا الطبعة التى أعدها مارتيناتزولى والتى صدرت فى روما عام ١٩٤٨ ٠ وتحتوى جميع هذه الطبعات على مقدمات طويلة وتعليقات وافية ، كما يحتوى بعضها أيضا على ترجمات دقيقة عن الأصل الاغريقى ٠ أما فى الشرق العربى فلم يفكر عالم واحد فى نشر الأشعار الهوميرية ، رغم أن أجزاء عديدة منها اكتشفت مكتوبة على أوراق بردية فى جوف رمال مصر ٠

وحتى الآن لم تظهر ترجمة عربية واحدة يمكن الاعتماد عليها ، رغم ظهور بعض مجلدات تحمل عنوان الالياذة أو الأوديسا ٠ فبالرغم من روعة النص العربى الذى نشره سليمان البستانى فى بيروت منذ أكثر من نصف قرن فانه ليس ترجمة دقيقة للنص الاغريقى ، كما أنه لا ينقل الى القارىء العربى صورة صادقة لما عليه هذه الأشعار ٠ وبالرغم من طرافة النص العربى الذى كتبه

دريني خشبه ، فانه « صياغة عربية » للالياذة والأوديسا ليس الا . ففي مقدمة الالياذة نقرأ هذه الكلمات « فلقد اتبع الكاتب العربى فى صياغته للالياذة ثم للأوديسا من بعدها نفس الطريقة التى اتبعها جورج تشابمان ، ألا وهى اعادة كتابة ملحمة هوميروس بالأسلوب والبناء اللذين يعتقد أنهما أصلح لعصره وأكثر ملاءمة للغته . ان الأحداث التى سيجدها القارىء هنا سابقة لبداية أحداث الملحمة الأصلية أو تالية لنهايتها ، موجودة بنفس النسيج داخل الملحمة الأصيلة ، ولكن دريني خشبه حاول أن « يفرد » هذه الأحداث ، وأن يضعها فى مكان من البناء الفنى يتلاءم مع التسلسل الطبيعي للزمن ، لكى يحصل على أكبر قدر ممكن من تسلسل الأحداث للملحمة بحيث لا يخل بحبكتها الرئيسية .. ومن ناحية أخرى فقد آثر دريني خشبة أن يلخص بعض المقاطع .. كما حذف مقاطع أخرى .. » . ولقد آثرنا نحن أيضا أن نقرأ معا هذه الفقرة من مقدمة الياذة دريني خشبة كى يتنبه القارىء بل ويتأكد من أنه رغم جمال النص العربى وطرافته ورغم جاذبيته وتأثيره على ألباب عدد لا حصر له من قراء العربية غير المتخصصين فى الآداب الكلاسية فانه لا يتعدى أن يكون ملخصا هزيلا لأحداث الالياذة والأوديسا . ومنذ بضع سنوات أصدرت « مطبوعات كتابى » ثلاثة مجلدات (رقم ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧) بعنوان « الالياذة ، الملحمة الخالدة لشاعر اليونان القديم هوميروس » ترجمها أمين سلامة عن « الأصل اليونانى

المقارن » • وفى نفس العـــام تقريبـا أصدرت دار بنك الأدباء (؟) الجزء الأول من « أوديسية هوميروس » ترجمها أمين سلامة أيضا عن « الأصل اليوناني المقارن » • ولعلنا نقف قليلا عند عبارة « عن الأصل اليونانى المقارن » ، فهى عبارة غريبة ابتكرها أمين سلامة ونقشها على جميع أغلفة ترجماته التى قام بها حتى الآن حتى لا يتيح الفرصة للقارىء العربى أن يهتـدى الى النص الأصلى الذى ترجم عنه المترجم •

والحقيقة هى أن القارىء العربى لا يستطيع اليوم أن يجد ترجمة عربية جيدة لأشعار هوميروس ان هو أراد أن يقف على أحداث كل من الملحمتين ومراحل تطور الحدث الرئيسى وكيفية تسـلسـله وكيفية الربط بين أجزائه المختلفة • ولعل هذه الحقيقة تبرر ما سوف يراه القارىء فى هذا الكتيب من تلخيص مفصل لأحداث كل من الالياذة والأوديسا دون محاولة الربط بين أجزاء الحدث أو مع التغاضى عن اظهار بعض التناقضات الكائنة بين أجزاء الملحمة •

مادة الإلياذة

ان الحديث عن مادة الملحمة أو بعبارة أخرى عن المصدر الذى استمد منه الشاعر موضوع ملحمته يعنى الحديث عن الخلفية التاريخية لموضوع تلك الملحمة . ولقد أثبتت الدراسات المقارنة للملاحم المختلفة التى بين أيدينا الآن أن الشاعر الملحمي كان يستمد موضوعه من حادثة تاريخية ، لكنه يعالج تلك الحادثة بحرية تامة فيما يتعلق بالشخصيات والزمن وتطورات الحدث .

ولقد اختلف العلماء فيما بينهم اختلافا بينا حول الأحداث التى تتناولها ملحمة الالياذة ، فهناك من يرى — وعلى رأس هؤلاء العالم الانجليزى رايز كاربنتر — أن أحداث الالياذة ليست الا نسيجا من تخيلات شاعر عبقرى ، بل انه يذهب الى حد الاعتقاد بأن حرب طروادة نفسها ليست الا أسطورة لا تستند على حقائق تاريخية يمكن الوثوق بصحتها . بينما يقف على طرف نقيض من ذلك مجموعة أخرى من العلماء — وعلى رأسهم العالم الانجليزى

ايضا دنيس بادج ـ الذين يؤكدون أن حرب طروادة انما هى واقعة تاريخية يمكن اثباتها عن طريق دراسة بعض الشواهد الاثرية والأدبية الضاربة فى القدم • وترى هذه المجموعة الاخيرة أن موضوع الالياذة يصور الصراع بين الآخيين (وهو لقب قديم من ألقاب الاغريق) وقاعدتهم التى كان مركزها فى ذلك الوقت جزيرة رودوس وحلف أصوا الذى كانت تنضم اليه مدينة طروادة ، وأن ذلك الصراع قد قام أثناء الفترة التى كان فيها سلطان الدولة الحيثية آخذا فى الانهيار •

والحقيقة أن الموضوع فى حد ذاته غير واضح تمام الوضوح ، اذ أن معلوماتنا عن الألف عام الثانية قبل الميلاد مازالت قاصرة • ولقد بذل علماء الآثار مجهودات ضخمة من أجل القاء بعض الضوء على تاريخ مدينة طروادة ، ومحاولة الحصول على بعض المعلومات عن موقع المدينة وتخطيطها • حدد شليمان موقع المدينة وعثر على بقايا المبانى ، ثم قام دوربفيلد بدراسة ما اكتشفه شليمان ، ثم بعد ذلك قام بلجن بمراجعة هذه البقايا ودراستها دراسة فاحصة على ضوء المعلومات التى حصل عليها من مصادر أخرى متعددة • ولقد قدمت الينا تلك الدراسات الضخمة التى قام بها هؤلاء العلماء الثلاثة أدلة هامة ساهمت فى توضيح مدى العلاقة بين موضوع ملحمة الالياذة والحقيقة التاريخية لمدينة طروادة • ان الآثار الموكينية تؤكد وجود

علاقات ـ غالبا ما كانت علاقات غير ودية ـ بين مدينة موكيناى وسكان شبه الجزيرة الاغريقية . ولقد أثبتت الاكتشافات الأثرية أن مدينة طروادة قد أقيمت أكثر من مرة وتحطمت أكثر من مرة أيضا . وتذكر الروايات القديمة أن مدينة طروادة المشار اليها فى الالياذة سـقطت عام ١١٨٤ ق.م. بينما يؤكد بلجن ـ بعدما قام به من دراسات أثرية بارعة ـ أن مدينة طروادة السابعة قد سـقطت عام ١٢٠٠ ق.م. تقريبا ، وأن مدينة طروادة السادسة قد دمرت عام ١٣٠٠ ق.م. تقريبا . فاذا كان الأمر كذلك ، فمن الأرجح أن طروادة المشار اليها فى الالياذة هى مدينة طروادة السابعة . لكن فريقا آخر من العلمـاء يرجح أن طروادة السادسة هى المشار اليها فى الالياذة . فالشواهد التاريخية والأثرية تشير الى أن طروادة السادسة قد دمرت بواسطة زلزال ، والزلازل ـ طبقا للأسـاطير والمعتقدات الاغريقية ـ كانت تخضع للاله بوسيدون . وفى الالياذة نرى أن طروادة قد دمرت بواسطة الحصان الخشبى ، ورغم أن الحصان الخشبى ـ طبقا لما جاء فى الالياذة ـ قد أرسلته الربة أثينة ، الا أنه ـ طبقا للأساطير والمعتقدات الاغريقية ـ كان رمزا للاله بوسيدون . وسواء أكانت طروادة المشـار اليهـا فى الالياذة هى مدينة طروادة السادسة التى دمرت عام ١٣٠٠ ق.م. أو مدينة طروادة السابعة التى دمرت عام ١٢٠٠ ق.م. فالمهم هو أنه ثابت من الناحية الأثرية والتاريخية أن مدينة طروادة قد وجدت

فعلا ، وكانت تقع في آسيا على بعد أربعة أميال من مدخل الدردنيل وهي المنطقة المعروفة اليوم باسم هيسارليك ·

وكما أثبتت الشواهد التاريخية والأثرية قيام مدينة طروادة ، فقد أثبتت أيضا قيام حرب طاحنة بين تلك المدينة وبين جيرانها من الشعوب الآسيوية والأوربية · وطبقا لما جاء في الالياذة فقد اشترك في الحرب قوات من جنسيات مختلفة · فمن المعروف أن مدينة بولوس كانت مركزا هاما من مراكز الحضارة الموكينية · ولذلك نلاحظ في الالياذة وجود آثار للميثولوجيا الموكينية مثل الاشارة الى معركة الأركاديين في الأنشودة السابعة من الالياذة ومعركة الايبين في الأنشودة الحادية عشرة · كما أن نستور ـ أحد القادة الذين اشتركوا في حصار طروادة ـ ينتمي الى تلك المنطقة · ومن المعروف من الناحية التاريخية أن الموكينيين أقاموا مستعمرات في جزيرة رودوس ، وأنهم كانوا على علاقة باللوكيين ·

وتتفق هذه الحقائق التاريخية مع ما جاء في الالياذة · فمن بين الأبطال المشتركين في الحرب الطروادية أبطال لوكيون مثل جلاوكوس وبنداروس وساربيدون · هذا بالاضافة الى أن بعض المعلقين القدامى يرون علاقة بين باريس ومنطقة تساليا وبين هيكتور ومنطقة وسط شبه الجزيرة الاغريقية · مما لا شك فيه اذن أن قصة حصار طروادة ـ كما جاءت في الالياذة ـ تصور حربا

طاحنة اشترك فيها جيوش من أغلب مناطق العالم القديم في قارتي أوربا وآسيا ـ وأن تلك الجيوش كانت تمثل شعوبا متعددة انقسمت فيما بينها الى معسكرين كبيرين واستمر القتال بين هذين المعسكرين فترة غير قصيرة .

أما عن الأسـباب التى أدت الى قيام تلك الحرب الطاحنة ، فهي ليست واضحة تمام الوضوح . لكن من المعروف أن الممالك الواقعة في آسيا الصغرى كانت تنعم بالثراء الواسع وكان الذهب الذى تملكه يشع بريقا غالبا ما جذب اليهـا أنظار الشـعوب المجاورة . كما أن ذلك الثراء كان يصاحبه رواج اقتصـادى غالبا ما دفع بتلك الشعوب الى محاولة القضاء على تلك الممالك الآسيوية . فمن المرجح أن أسباب قيام الحروب الطاحنة بين طروادة والشـعوب الاغريقية كانت أسـبابا اقتصـادية . لكن الالياذة تشير الى وجود دافع مختلف للحرب ، انه اختطاف هيلينا زوجة مينيلاووس أحد ملوك الاغريق بواسـطة باريس الأمير الوسـيم وابن برياموس ملك طروادة . وشخصية هيلينا لها مكانتها في الميثولوجيا الاغريقية . فمن المؤكد أن هيلينا كانت ربة قدسها شعب ثيرابناى ، كما أن شعب رودوس أيضا اعتاد تقديسـها في صورة شجرة مقدسة . ولقد أثار دهشة العلماء وجود أسطورة تروى أن البطل ثسيوس اختطف هيلينا عندما كانت فتاة لم تبلغ بعد سن الزواج . كما أثبتت الدراسات الشائقة التى قام بها العالم الألمانى نلسون وجود علاقة بين أسباب

قيام الحرب الطروادية وأسطورة مينوية قديمة تدور حول اختطاف ربة من ربات الزرع والنماء • لذلك فالصراع بين المعسكرين الطروادى والاغريقى لابد وأنه بدأ منذ عصور سحيقة اما لأسباب اقتصادية أو لأسباب شـخصية أو لكليهما معا ، لكن اختيار هوميروس لقصة اختطاف هيلينا كسبب لقيام الحرب ربما كان مقصودا لما لها من مكانة فى الميثولوجيا الاغريقية ولما لها من علاقة بمجتمع الآلهة كما تخيلته شعوب موكيناى والشعوب الاغريقية الأخرى •

والملاحظ أن الآلهة فى الالياذة تلعب دورا خطيرا • وتدل الشواهد التاريخية والأثرية على وجود تشابه بين نظام عالم الآلهة كما تخيله الموكينيون ونظام عالم الآلهة كما يظهر فى الالياذة ، بل وفى الأوديسا أيضا • فتأثير الديانة الموكينية واضح تمام الوضوح فى نظرة مؤلف الالياذة والأوديسا للآلهة • كما أن ما جاء فى الملحمتين كان له بدوره تأثيره الواضح على جميع أنواع الشـعر الغنائى عند الاغريق فيما بعد • وبالاضافة الى ذلك ، فان بعض العلماء يعتقدون فى وجود تأثيرات شرقية وخاصة تأثير الديانـة الحيثية التى كانت قـد تأثرت بدورهـا بالديانة البابلية •

اما من ناحية المادة الأسطورية فالالياذة لم تتناول قصة حرب طروادة فقط ، بل تعرضت أيضا لذكر أساطير أخرى ، فمن الواضح أن مؤلف الالياذة لا بد وأنه كان على

علم ببعض الأساطير الأخرى مثل الأساطير الموكينية ـ كما سبق أن أشرنا ـ ، وأساطير طيبة التى تناولت حصار قواد أرجوس السبعة لمدينة طيبة ، وأسطورة السفينة أرجو والبحث عن الفروة الذهبية • كما أن الالياذة تحتوى أيضا على بعض اشارات الى أساطير أو روايات أقل أهمية مثل أسطورة نيوبى التى يشير اليها أخيليوس فى الأنشودة الأخيرة من الالياذة ، وأسطورة ملياجر التى يشير اليها فوينيكس فى الأنشودة التاسعة •

مادة الأوديسا

وكما استمد هوميروس مادة الالياذة من مصادر متعددة لابد وأنها كانت معروفة لديه معرفة تامة فكذلك استمد أيضا مادة الأوديسا . لكن طبيعة مصادره في انشاء كل من الملحمتين تختلف عن الأخرى . ففي الآداب الشعبية القديمة غالبا ما تتردد قصة رجل ذهب في رحلة طويلة بعيدا عن وطنه . وتطول غيبة الرجل عن بيته وأهله وأصدقائه ، فيحسبونه قد لقي حتفه ، ويخبو الأمل في العثور عليه حيا أو ميتا . ثم تمر الأعوام ، ويعود الرجل الغائب ، فيجد زوجته قد وقعت فريسة في أيدي رجال آخرين . ان أكثر من رجل أراد الزواج منها ، لكنها ترفض الواحد تلو الآخر . وفي النهاية تغلب المرأة على أمرها ، وترضى بزواج واحد منهم ، ويتحدد موعد الزواج . وغالبا ما يعود الزوج الغائب والزواج على وشك أن يتم ، فيطرد الطامعين ، ويسترد زوجته وبيته وأمواله . ان اسم تلك الزوجة ـ كما يرد في الأوديسا ـ هو بنيلوبي ، وهو

مركب من كلمتين : الأولى يعنى أصلها « نسيج » والثانية «يفك » . ويرى العلماء أن لفظ بنيلوبى يعنى « المرأة التى تفك النسيج » ، وأنه بذلك يشير الى الزوجة التى كانت تغزل أثناء النهار وتفك ما تغزله أثناء الليل ، حتى لا تنتهى من صنع هدية الزفاف التى بدونها لن يتم زواجها من أحـد الطامعين فيها . وهذا هو العنصر الأول الذى يتكون منه موضوع الأوديسا .

أما العنصر الثانى فهو قصص الملاحين الرحل ، التى كانت معروفة حق المعرفة أثناء الألف الثانية قبل الميلاد لدى أهالى كريت ، تلك الجزيرة التى كانت مقرا لدولة ذات قوة بحرية هائلة . وهناك أيضا قصة مصرية قديمة يرجع تاريخها الى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م. تروى كيف حطمت العواصف أسطولا فأغرقته ولم ينج سوى ملاح واحد ، وكيف أن ذلك الملاح قاوم الأمواج وتعلق بكتلة من الخشب وظلت الأمواج تتقاذفه حتى ألقت به على شاطىء احدى الجزر ، وكيف أنه قابل مخلوقات عجيبة وتعرض لأهوال تفوق التصـور . ويبدو أن مثـل تلك القصص كانت متداخلة ومتشابكة ، لذلك كان من الممكن الربط بين أحداثها المتعددة ووضعها فى شكل مجموعة من الحلقات المترابطة وجعلها تدور حول شخصية معينة مثل سندباد أو أودوسيوس . ويبدو أيضا أن أودوسيوس كان شخصية معروفة تقوم بمغامرات خيالية فى البحر ، وذلك منـذ عصور ما قبل الهجرات التى كولت فيما بعد

الشعوب الاغريقية ، كما يبدو أيضا أن أودوسيوس لم يكن له علاقة بحرب طروادة .

أما العنصر الثالث الذى يتكون منه موضوع الأوديسا فهو قصة حرب طروادة . فلقد ربط مؤلف الأوديسا بين قصة الرجل الغائب الذى يقوم بمغامرات خيالية وقصة حرب طروادة . فأودوسيوس قد أصبح فى الأوديســـا واحدا من أبرز القادة الاغريق الذين اشتراكوا فى الحملة ضد طروادة . وبالرغم من ذلك ، فان شخصية أودوسيوس مازالت تحتفظ بأغلب خصائصها القديمة ، فهو دائما « الرجل الذى يتحمل المتاعب » ـ ليس فى الأوديسا فقط بل وفى الالياذة أيضا ـ وهو « الرجل واسع الحيلة » و « الداهية الأعظم » .

أما العنصر الرابع فهو العلاقة بين البشر والآلهة . فالربة أثينة ساخطة على الطرواديين ، لذلك فانها تقف بجانب أودوسيوس ، تحميه وتدافع عنه وترسم له خطط النجاة ، وتصاحبه فى تجواله ، كما تصاحب أيضا ولده تليماخوس أثناء البحث عن والده . بل انها تظهر أيضا لزوجة البطل الاغريقى أثناء نومها . لكن بوسيدون لايرضى عن أودوسيوس ، ويحاول القضاء عليه . أما رب الأرباب زيوس فانه صاحب النفوذ والسلطان ، قادر على كل شىء يبسط نفوذه على الآلهة والبشر على السواء .

وهكذا استطاع مؤلف الأوديســا الاســتفادة من مصادر متعددة في الحصول على مادة ملحمته . فالأوديسا تتكون من أربعة عناصر : قصة العودة الى الوطن ، وقصة المغامرات في البحر ، وقصة حرب طروادة ، وفكرة العلاقة بين الآلهة والبشر .

بناء الإلياذة

ولا تقف براعة مؤلف الاليـاذة والأوديسا عند حد الاستفادة من المصادر القديمة فى جمع مادة ملحمتيه ، بل ان تلك البراعة لتظهر بوضوح فى كيفية بناء كل من الالياذة والأوديسا ٠

ففى الفصل الثالث والعشرين من كتاب فن الشعر يعبر أرسطو عن اعجابه الشديد بموضوع الالياذة ٠ فمؤلف الالياذة لم يتناول قصة حرب طروادة كاملة ، بل اختار حدثا واحدا من أحداثها ، وهو غضب أخيليوس ونتائجه بالنسبة لموقف القـــوات الاغريقية التى كانت تحـارب ضد طروادة ٠ لكن اختياره لهذه الحادثة بالذات لم يقلل من اهمية قصة الحرب الطروادية نفسها ، اذ جعل غضب أخيليوس المحور الرئيسى الذى تدور حوله جميع الأحداث الرئيسية الأخرى ٠ ويستغرق الحدث فى الالياذة مدة خمسين يوما ٠ لكننا اذا ما استبعدنا من هذه

المدة بعض فترات لم ينشط فيها القتـــال مثل : الايام التسعة التي انتشر فيها الوباء ، والاثنى عشر يوما التى تقضيها الآلهـــة فى بلاد الأثيـوبيين ، والاثنى عشر يوما التى يقضيهـــا الاغريق فى التنكيل بجثة هيكور ـ اذا ما استبعدنا هـذه الفترات وبعض فترات قصـيرة أخرى لا ينشط فيها القتال فلا يبقى سوى بضعة أيام فقط يروى خلالها مؤلف الالياذة أحداث حرب طروادة • وبالرغم من قصر المدة التى يستغرقها القتال ، فان الشاعر قد نجح فى اعطاء صورة رائعة لقصة حرب طروادة كامله •

ولقد تحقق له ذلك بطريقتين • فالطريقة الأولى هى الحاق رواية النزاع الذى قام بين قادة الاغريق بمشـاهد تفصيلية رائعة تصور الحرب الطروادية نفسها ، وخاصة تلك المشاهد التى تصور مشاعر الجنود وأحاسيسهم أثناء فترة القتال • فبهذه الطريقة يصور مؤلف الالياذة كيف استمرت الحرب تسعة أعوام متتالية ، وكيف أن الاغريق قد سئموا القتال وأصبحوا مشوقين لانهاء الحرب واقـرار السلام ، وكيف أنه قد أصبح على قادة الاغريق حينئذ أن يبتكروا وسـائل جديدة تعيد الأمل الى نفوس الجنـود وتلهب حماسهم وتدفعهم من جديد الى مواصلة القتال • ولقد أتاحت مثل هذه الوسائل للشاعر فرصة كى يضيف عنـاصر جديدة تسـاعد على بدء القتـــال من جديد • أما الطريقة الثانية فهى أن الشاعر يشـير الى الأحداث الهامة قبل وقوعها فى أماكن كثيرة من الملحمة • انه يفعل

ذلك بالنسبة لأخيليـــوس وبالنسبة للشعب الطروادى ـ وهما طرفا النزاع فى المأساة ـ عن طريق الشخصيات المعنية الأخرى وليس عن طريق الرواية المباشرة • ففى الأنشودة الرابعة ـ على سبيل المثال ـ يستنتج أجاممنون ـ نتيجة لخيانة بنداروس ـ أن طروادة هالكة لا محالة • كما أن نفس الاستنتاج يرد على لسان هيكتور فى الأنشودة السادسة ، كما أن ديوميديس يؤكد أيضـا فى الأنشودة السابعة احتمال تدمير طروادة • أما النصف الأخير من الملحمة فهو زاخر بالاشارات الى أن مصير هيكتور مرتبط بمصير طروادة ، وأن هيكتور هالك لا محالة • كما أن قارىء الاليـــاذة لابد وأنه ســـوف يلاحظ بسهولة أن أخيليوس واقع منذ الانشـــودة الاولى تحت تهديد شبح الموت ، بل ان القارىء سوف يلاحظ ذلك بسهولة أكثر فى الانشودة الثامنة عشرة ، والتاسعة عشرة ، والحادية والعشرين ، والثانية والعشرين •

هكذا نجد أن مؤلف الالياذة يركز كل اهتمامه على بعض الشخصيات وينجح فى جذب انتباه الجمهور اليها بل ويجعله يتابع بشغف عظيم ماسوف يحدث اليها • ولقد حازت طريقة رسم تلك الشخصيات اعجاب أرسطو ـ كما يبـدو فى الفصـــل الرابع والعشرين من كتاب فن الشعر ، كما أنهـــا أصبحت فيما بعد أنموذجا يتبعه المؤلفون فى جميع أنواع الشعر الاغريقى على حد سواء ، بل وفى معظم الأعمال الأدبية فى العصور الحديثة •

بناء الأوديسا

أما بناء الأوديسا فهو يختلف عن بناء الالياذة · ففى الفصل الرابع والعشرين من كتاب فن الشعر يرى أرسطو أن البساطة أساس للحدث فى الالياذة والتعقيد أساس الحدث فى الأوديسا · وربما يكون أرسطو قد أصدر حكمه هذا بسبب الدور الهام الذى تلعبه عملية التنكر وعملية التعرف فى الملحمة الثانية · وتشبه الأوديسا الالياذة من حيث الفترة القصيرة التى يستغرقها الحدث ، فالحدث فى الأوديسا يستغرق أربعين يوما فقط · لكن طريقة الربط بين أجزاء الحدث تختلف فى كل منهما عن الأخرى · فغضب أخيليوس فى الالياذة هو المحور الثابت المتين الذى تتجمع من حوله جميع عناصر الحدث · فمصير كل من أخيليوس وباتروكلوس وهيكتور مرتبط كل منهم بالآخر ارتباطا وثيقا ، حتى ليبدو وكأنهم جميعا مصير فرد واحد متوقف بدوره على غضب أخيليوس : فغضب أخيليوس يؤدى الى موت باتروكلوس

وموت باتروكلوس يؤدى الى موت هيكتور وموت هيكتور ينذر بهلاك أخيليوس ٠

أما فى الأوديسا فطريقة الربط بين الأحداث تتصف بمزيد من البساطة والسهولة ، وبالتالى فهى تحقق مزيدا من التأثير عنها فى الالياذة ٠ فالرواية المتصلة فى الأوديسا تنقطع وتنقسم الى أجزاء ثم تتصل من جديد ثم تنقطع ــ وهكذا دون أن يحس القارىء بوجود تفكك بين أجــزاء الحدث المتعددة ٠ فأودوسيوس يروى لألكينوس ماقام به من مغــامرات منذ بداية رحلته حتى وصـــوله الى جزيرة الساحرة كالوبسو ، وبهــذه الوسيلة استطاع الشاعر أن يجعل الرواية فى صيغة المتكلم ٠ أما الأناشيد الأربعة الأولى من الملحمة ــ وهى التى تدور حول تليماخوس ــ فلها دورها فى بناء الملحمة ككل ٠ فبالاضـــافة الى أنها ترسم صـــورة واضـــحة لشخصية الطامعين ولشخصية أودوسيوس ، فانها تقف أيضا ــ عن طريق وصف ما يدور فى ايثاكا ــ بمثابة اطار يعرض فيه الشاعر على جمهوره لوحة رائعة للمغامرات التى يقوم بها أودوسيوس أثنــاء الأجزاء الوسطى من الملحمة ٠ كما أن وصف مايقوم به أودوسيوس من مغـــامرات بعد عودته الى ايثـــاكا فى الأنشودة الثالثة والعشرين انما هو بمثابة قوس كبير يحدد ماسبق أن صوره الشـــاعر من أحداث دارت فى ايثاكا أثناء الأناشيد الأربع الأولى ٠

الملحمة فن موضوعي

قبل أن نستعرض أحداث كل من الالياذة والأوديسا بشيء من التفصيل ، يجدر بنا أن نتعرف على مكانة مؤلف الملحمتين في المجتمع الذى عاش فيه ، وكيف كان لذلك أثره الواضح فى صياغة الأحداث وطريقة عرضها .

لا بأس من أن نسلم بالرأى القائل بأن هوميروس منشد أو مؤلف الالياذة والأوديسا ربما عاش فى القرن الثامن قبل الميـــلاد . وبالرغم من ضئالة معلوماتنا عن نظـام المجتمع الاغريقى فى ذلك الوقت ، فانه من الممكن القول بأن جمهور هوميروس لم يكن سوى النبلاء والأمراء والحكام والقـــواد العظام . لذلك كان على هوميروس أن يتناول سير الملوك والأمراء الذين ربما انحدر من سلالتهم جمهور مستمعيه . لكن لم يكن من الضرورى أن يكون المنشد نفسه من أصل نبيل. فالالياذة والأوديسا تحتويان على وصف لما يمكن أن يكون عليه المنشد فى ذلك الوقت. فلنا أن نتخيل هوميروس فى نفس الصورة التى رسمها

هوميروس نفسه للمنشد فيميوس الذى عاش فى قصر أودوسيوس فى ايثاكا ، والمنشد ديمودوكوس الذى عاش فى قصر ألكينوس فى فاياكيا • فهما ليسا من أصل نبيل ، لكنهما في نفس الوقت ليسا من العبيد ، انهما يشغلان مركزا متوسطا بين الحرفيين مثل الأطباء والعرافين والعاملين فى الغابات • انهما من الرجال الأحرار ، جديران بالاحترام من أجل فنهما ، يعتمدان في معيشتهما اعتمادا كليا على مايغدقه عليهما الأمراء من أموال وهدايا• ولهذا السبب يشارك فيميوس الطامعين رغبتهم فى الاستيلاء على أموال الزوج الغائب والانتفاع بها دون وجه حق أثناء غيابه •

وليس ببعيد أن يكون هوميروس قد بدأ حياته الفنية منشدا فى قصر من قصور النبلاء ، ولعل ذلك الرأى يفسر عدم اشارة هوميروس الى شخصه أو ابداء رأيه بطريقة مباشرة فى الأحداث التى يتناولها • فان كان جمهوره من النبلاء والأمراء الذين يرغبون فى الاستماع الى أمجاد أجدادهم العظام ، فانهم لم يكونوا على استعداد لسماع أى نقد أو تعليق أو حكم على ماقام به هؤلاء الابطال من أعمال وخاصة من شخص لا تصل مكانته الى مستوى مكانة النبلاء أو الأمراء • ولعل ذلك هو الذى دفع هوميروس الى التمسك بفن موضوعى بحت وجعله يخلق من تقاليد موروثة معروفة تمام المعرفة ماضيا غريبا عرفه

هو نفسه أو تخيله • فلقد فعل ذلك في حـــرية تامة ، وهكذا نجـــده قد مزج الحاضر بالماضي في براعة وعظمة ودهاء ، فاحتفظ بهيبة الماضي ووقاره كما احتفظ أيضا بجمال الحاضر وبهائه ، وبذا منح الالياذة والأوديسا طابعا فريدا •

تلخيص لأحداث الإلياذة

الانشودة (١)

تبدأ الأنشـودة الأولى بمناجاة ربة الشـعر ، ثم سرعان ماتقـودنا الى وصف النزاع بين أخيليـوس وأجاممنون • ان أول كلمة تبدأ بهـا الاليـاذة هى كلمة « مينيس » ومعنـاها « غضب » • ولعـل ذلك يؤكد الموضوع الرئيسى للملحمة ويلفت النظر الى أهمية غضب أخيليوس • ويعود الشـاعر بعـد ذلك مباشرة الى سرد أسباب غضب أخيليوس ، انه نتيجة اهـانة أجاممنون لكاهن أبوللون • ومن هنا تبدأ رواية متصلة • لقد أثار اجاممنون غضب أبوللون ، لأنه رفض اعادة كريسيس الى والدها ، فأصـاب أبوللون الجيش الاغريقى بسهامه الفتاكة • لكن أجاممنون بعد ذلك يطيع ما أمر به العراف، فيرد كريسيس الى والدها ، وفى مقابل ذلك يستولى على بريسيس محظية أخيليوس • عندئذ تتوالى أحداث مثيرة :

يدب النزاع بين القائدين الاغريقيين أجاممنون وأخيليوس، تحـــاول الربة أثينة أن تهدىء من غضب أخيليوس ، ينسحب أخيليوس ويرفض مواصلة القتـــال ، يستولى أجاممنون على بريسيس ويقودها الى معسكره • يلجـــأ أخيليوس الى والدته ، حورية الماء ثيتيس ، يستعطفها ، ويطلب منها أن تسأل رب الأرباب زيوس أن ينتقم لابنها أخيليوس • تعد ثيتيس ولدها بأن تفعل ذلك ، بعد أن يعود الآلهة من بلاد الأثيوبيين حيث يقضون اثنى عشر يوما فى احتفالات صاخبة مستمرة • وفى هذه الأثناء يكون أودوسيوس قد أعاد كريسيس الى والدها ، الذى يتوسل عندئذ الى الآلهة كى تكف غضبها عن الاغريق • وتطلب ثيتيس من زيوس أن ينتقم لابنها ، فيوافق على الفور • ويخفى زيوس موافقته عن جميع الآلهة ، حتى عن زوجته هيرا ، رغم شكواهـــا المريرة • عندئذ يترك الشاعر الميدان لهيفايستوس ، اله الحديد والنار ، الاله الأعرج القمىء ، مثار ضحك جميع الآلهة ، فيشيع المرح من جديد بين الآلهة المشتركين فى الاحتفال •

الأنشودة (٢)

فى هذه الأنشـــــودة تتحقق مشيئة زيوس • ففى بدايتها يأمر رب الأرباب أجاممنون أثناء نومه بمهاجمة طروادة • ويصحو أجاممنون من نومه على الفور ، ويبلغ قادة الاغـــريق بمشيئة زيوس ، ثم يناقشهم فى كيفية

تحقيقها . لقد مضى حتى الآن تسعة أعوام وهم فى قتال مستمر ، ومن الأفضل التعـــرف على أحاسيس الجنود وموقفهم من مواصلة الحرب . ويتظاهر أجاممنون برغبته فى انهاء الحرب والعــــودة الى وطنه ، فتلقى هذه الفكرة تأييدا كبيرا لدى جميع الجنود ، وهو مالم يكن يتوقعه على الاطلاق . ويخيب أمل أجاممنون فى امكان مواصلة الحرب، لكن أودوسيوس ونستور يقـــومان بالتأثير على الجنـــود واقناعهم بضرورة مواصلة القتـــال ، ثم يجمعان القوات ويقومان بتنظيمها . وفى هذه الأثناء يتطاول ثرسيتيس ـ أحد أفراد الطبقة العامة ـ على قادة الحملة ، فيلقى جزاءه ويضطر الى الصمت ، بعدما يلقاه من اهانة وتحقير من أودوسيوس . ان هوميروس فى هذه الفقرة يقـــدم وصفا رائعا لعملية تنظيم الجيوش واعدادها للمعركة ودعاء لربات الفنون كى يبرزن مدى ضخامة القوات الاغريقية وذلك فيما يعرف باسم « قائمة السفن » ومايتبعه من قائمة أصغر منها بالقوات الطروادية والقوات المتحالفة معها .

الأنشودة (٣)

بالرغم من كل هذه التجهيزات ، فان المعـــركة لم تبدأ بعد . بل تبرز فى هذه اللحظة فجأة حادثة تعطل حدوث الاشتباك . يعلن باريس استعداده لحسم الموقف العسكرى عن طريق اشتراكه فى مبـــارزة فردية ضد

منيلاووس ، ويوافق الأخير ، وتعلن الهـدنة المؤقتة • عندئذ تتجلى ايريس ـ ربة النزاع ـ فى صـورة آدمية لهيلينا ، وتوجه اليها حديثا • فتنطلق هيلينا نحو بوابة سكايا وتتسلق أسوار طروادة وتقف لمراقبة القـوات الاغريقية المحاصرة للمدينة • هناك تقوم هيلينا بتعريف برياموس ـ وبناء على طلبه ـ بالقادة واحدا بعد الآخر وهي تشير ببنانها الى كل منهم • ثم يستدعى برياموس فيحلف اليمين ويعد بأن يلتزم بنتيجة المبارزة بين باريس ومنيلاووس • وتبدأ المبارزة • يهوى منيلاووس بسيفه على خوذة منافسه ، ثم يمسك بملابسه ، ويجره نحو صفوف الاغريق • وهنا يصبح مصير باريس واضحا • لكن سرعان ماتتدخل الربة أفروديتا ، فتلقى من حوله بسحابة تحجب عنه الأنظار ، وتحمله الى منزله سالما • ثم تظهر الربة فى هيئة امـرأة عجوز لهيلينا ، وتحرضها على الارتماء فى أحضـان باريس • لقـد خلق هوميروس موقفا يتميز بالتناقض البارع : فبينما يلهو باريس مع هيلينا زوجة منيلاووس ويطارحها الغرام على فراش وثير وفى عقر داره يصول منيلاووس ويجول فى ميدان الوغى مثقلا بحلته العسكرية يبحث عن باريس كى يقضى عليه • ولما لم تعثر الجماهير على باريس ، فان أجـاممنون يعلن فوز أخيـه منيلاووس ويطالب برياموس باعادة هيلينا ، والاعتراف بالهزيمة وانتهاء الحرب •

الأنشودة (٤)

قد يكون أجاممنون فى المشهد الأخير من الأنشودة الثالثة جادا فيما قال ، لكن الآلهـــة لا تخضع لرغبات البشر • لذلك فان زيوس يظهـــر الآن على رأس مجلس الآلهة فوق جبل الأولومبوس يناقش نتيجة المبارزة • انه يقصد بذلك اثارة الربة هيرا والربة أثينة اللتين كانتا ترغبان فى القضاء على طروادة ، دون أن نعلم السبب فى ذلك • ويبدو تصميم زيوس واضحا على الوفاء بالوعد الذى قطعه على نفسه أمام ثيتيس ، ولكن تحت الحاح زوجته هيرا يوافق زيوس على اقتراح بأن تذهب أثينة الى معسكر الطرواديين وتوحى الى بنداروس بأن يصوب سهامه نحو منيلاووس وبذلك يخرق الطرواديون الهـــدنة المؤقتة • ويسير كل شىء حسب رغبة الآلهة • فيصاب منيلاووس ، لكنه سرعان مايشفى على يد ماخاؤون بن أسكليبيوس • ويصبح من الضرورى أن يتجدد القتال • يوجه أجاممنون الى أبطال الاغريق عبارات هى مزيج من الاطراء والتوبيخ كى يثير حمـــاسهم ونخوتهم • ان آخـــر شخص يوجه أجاممنون اليه الحديث هو ديوميديس ، الذى يتقبل كلمات القائد الثائر بصدر رحب رغم بذاءة تلك الكلمات وعنفها ، وهو فى ذلك يختلف اختلافا تاما عن أخيليوس •

الأنشودة (٥)

ينطلق ديوميديس ويلقى بنفسه وســط المقاتلين • يصوب بنداروس سهامه نحو ديوميديس ، لكنه لا يصيبه•

تشد أثينة من أزر بنداروس فيصول ويجول ويطلق سهامه هنا وهناك ، وهو لا يعي ان كان يوجهها نحو بشر أو اله ٠ يصيب بنداروس بسهـــامه عديدا من الشخصيات ، من بينهم الربة أفروديتا ، التى تصاب بجرح فى يدها أثناء محاولتها انقاذ ولدها آينياس ، وتهرع على أثر ذلك الى جبل الأولومبوس حيث تواسيها والدتها ديونى ٠ بعد ذلك يتولى الاله أبوللون حماية آينياس ، لكن ديوميديس يستعد لمهـــاجمته ، لولا تحذير أبوللون الذى يرغمه على التراجع ٠ أما آريس اله الحرب والسلاح فانه يقف بجانب الطرواديين ويبث فيهم الهمة والشـــجاعة فيحاربون فى ضراوة وعنف ٠ وتنزل أيضا أثينة وهيرا الى ساحة القتال وتساهمان مساهمة فعالة ، لدرجة أن أثينة تتولى قيادة عجلة ديوميديس الحربية بدلا من ســـائقها الاغريقى ٠ وبفضل معونة الآلهة يستطيع ديوميديس أن يصيب آريس بجرح بليغ ويجعله يهرع الى جبل الأولومبوس تاركا ميدان القتال ٠ وفى المشهد الأخير من هذه الأنشودة تغادر هيرا وأثينة ميدان القتال ٠

الأنشودة (٦)

ينصح العراف هيلينوس هيكتور وآينياس بتجهيز القوات واعداد الجيوش وتوحيد الصفوف من جديد ، ثم ينصح هيكتور بالذهاب الى المدينة ٠ ويذهب الآخير فيجد أهالى طروادة يقيمون الصلوات ويقدمون الأضاحى للآلهة

كي تهـــدىء من غضب أثينة • في أثنـــاء ذلك يتقـابل ديوميديس وجلاوكوس في ساحة القتـال ، ويتعرف كل منهما على الآخر • يتبادلان الأسلحة فيعطي ديوميديس الى صـديقه « النحاس الأرجوسي » ويعطيه صديقه « الذهب اللوكي » • لقد أراد هوميروس بهـــذا اللقاء الرائع بين الخصمين الصديقين أن يصور روح الفروسية التي اتصف بهـــا كل من الاغريق والطرواديين ، بل انه قد أراد أيضا أن يهـدىء من سرعة الأحداث التي قام بوصفها في الأنشودة الخامسة حتى يستطيع أن ينتقل بجمهوره من خارج أسوار طروادة الى داخل أسوارها لوصف مايدور هناك • ولقد كان لهوميروس ما أراد • فهيكتور الآن يهرع نحو والدته ، وعبثا تحاول نســـاء المدينة أن يثنين عزمه ويمنعنه من الذهاب الى ساحة القتال • ويبحث هيكتور عن باريس ، ليصاحبه الى هنـاك • ويبحث أيضا عن زوجته أندروماخي وابنه الصغير أستياناكس ، لكنه لا يجدهمـا داخل القصر • ويواصل بحثه عنهما ، وأخيرا يجدهما عند بوابة ســـكايا ، حيث ذهبت أندروماخي تســيطر عليها المخاوف والهواجس • ويحدث اللقـــاء المثير بين البطل الطروادي وزوجته ، ويدور بينهما حـــديث مفعم بالحب زاخر بالحزن ـ كما لو كان هيكتور يعلم تماما أنه لن يعود الى زوجته مرة أخرى • وتعود أندروماخي الى القصر بعد ذلك اللقاء ، وهي تبكي زوجها ـ كما لو كانت هي الأخرى تعلم علم اليقين أنه لن يعود اليها • ثم يتقـــابل هيكتور وباريس ويتجهان معا نحو ساحة القتال •

الأنشودة (٧)

وتبدأ المعـــركة من جديد · لكن أبوللون وأثينه يتفقان على ضرورة وقف القتال · وينقلان رغبتهما ـ بطريقة غير مباشرة ـ الى هيكتور عن طريق العـراف هيلينوس ، الذى ينصح هيكتور بأن يطلب مبارزة فردية مع واحد من قادة الاغريق · ويعمل هيكتور بنصيحة العراف ، فيرسل الى الاغريق من ينقل اليهم نبأ تحديه لواحد من قوادهم · ويختار الاغريق القائد أياس التلامونى لينازل هيكتور · ويلتقى الخصمان . لكن قتالهما يتوقف عند قدوم الليل · وفى صباح اليوم التالى يقرر الاغريق دفن قتلاهم واقامه أســـوار حول المنـــاطق التى ترسو فيهـــا سفنهم ، أما الطرواديون فيطلبون من الاغريق تسليم جثث المقاتلين الذين استشهدوا بين صفوف الاغــــريق ويعــــربون عن استعدادهم لتقديم تعويضات مالية طالما أن باريس لم يقم باعادة هيلينا اليهم · لكن الاغريق يرفضون هذه المبادرة· ورغم ذلك ، يجمع الطرواديون جثث قتـــلاهم فى اليوم التالى ويحرقونها حسب العادة المتبعة دون أن يتعرض لهم الاغريق ، اذ أنهم كانوا منهمكين فى اقامة أسوار لحمـــاية المنطقة الراسية فيها سفنهم ·

الأنشودة (٨)

يطلب زيوس من الآلهة أن تشارك فى القتال ، بينما يبقى هو فوق قمة جبل ايدا لمراقبة مايدور فى الميدان ·

ويبدأ القتال عند الفجر . وعند الظهر يزن زيوس أقدار كل من الطرفين المتحاربين ، فترجح كفة الطرواديين . ان ديوميديس هو حجر الزاوية بالنسبة للقوات الاغريقية ، وهيكتور فارس الميدان بين صفوف الطرواديين . لكن هيرا تبذل مجهودات ضخمة كي تفسد مايدبره زوجها زيوس . تحرض بوسيدون على التدخل في القتال ، لكنه يرفض ، تبث القوة والعزم في صدر أجاممنون فينطلق على غير رغبة زيوس ويخلص الجيوش الاغريقية من الحصار الذى ضربته حولها القوات الطروادية . وتواصل هيرا محاولتها ، لكن ايريس تنقل اليهـــا تصميم زيوس الأكيد على مساعدة الطرواديين . ويتجلى زيوس بطلعته المهيبة ليفصـــح عن تصميمه : سوف يتعرض الاغريق لمزيد من سخط الآلهة ، سوف يتعرضون لمزيد من الكوارث ، وسوف يظل هيكتور فارس الميدان ، يصول ويجول دون أن يستطيع أحد أن يوقف تقدمه . سوف يظل الأمر على تلك الحال حتى يهب أخيليوس وينطلق وســـط الميـدان فيدافع عن السفن الاغريقية ويزمجر في غضب وعنف حول جثة باتروكلوس . ذلك هو قرار زيوس الأخير . ويحل الليل دون أن يحسم الموقف . ويلجأ هيكتور ورفاقه الى المعسكر الطروادى .

الأنشودة (٩)

وازاء تصميم زيوس ، يسيطر اليأس على أجاممنون فيعرب عن رغبته في انهاء القتال والرحيل ، وهو ماسبق

أن تظاهر به أمام الجنود أثناء الأنشودة الأولى · لكنه فى هذه المرة يلقى معارضة شديدة من ديوميديس · وينعقد مجلس القادة الاغريقى ، فيقترح نستور العجوز أن يتوجه مجموعة من القادة نحو معسكر أخيليوس ويدعوه للمشاركة في القتال · ويعرب أجاممنون عن استعداده لتقديم الهدايا اللازمة للبعثة المتوجهة الى أخيليوس · وتتكون البعثة من أودوسيوس وأياس وفوينيكس · يستقبل أخيليوس أفراد البعثة أحسن استقبال · انهم يحاولون استمالته · يتحدث أودوسيوس فى براعة وفصاحة ، ويطبع فوينيكس حديثه بطابع انسانى عاطفى ، أما أياس فيتحدث حديثا مقتضبا يغلب عليه الطابع العسكرى · وتحرك أحاديثهم مشاعر أخيليوس ، لكن غضبه لا يهدأ · مازال مصمما على عدم الاشتراك فى الحرب ، الا اذا هاجم هيكتور سفن أخيليوس، فسيجد نفسه مضطرا للقتال · وتعود البعثة مكللة بالفشل ، لكن ديوميديس ينصح الجميع أن يتصفوا بالهدوء ويتجملوا بالصبر ·

الأنشودة (١٠)

يخيم الهدوء على المعسكر الاغريقى · الجميع ينام ، ماعدا أجاممنون ومنيلاووس · يتجول كل منهما على حدة فى أنحاء المعسكر وقد استولى عليهما القلق · ويتقابل الشقيقان على غير موعد ، يتدبران الموقف ، ويتفقان على ارسال أودوسيوس وديوميديس للاستطلاع · لكن هيكتور

يكون في نفس الوقت قد أرسل دولون للتجسس على الاغريق ، بعد أن يعده بأسلحة أخيليوس ان هو قام بمهمته خير قيام • ويقع دولون في قبضة أودوسيوس وديوميديس ويعرفان منه كل مايعرفه عن خطط الطرواديين ، ثم يطلقان سراحه • يعلمان بمجيء امدادات ريسوس واثنى عشر من أعوانه ويستوليان على مامعهم من خيول من النوع الممتاز الذى اشتهرت تراقيا بتربيته •

الأنشودة (١١)

في اليوم التالى يبدأ القتال • ويستمر وصفه من الأنشودة الحادية عشرة الى الثامنة عشرة • يتحدث هوميروس عن قوة أجاممنون واقدامه ، ويسهب فى وصف براعته العسكرية لدرجة تجعل الجمهور يتوقع فشل خطة رب الأرباب أو تنازله عن تصميمه • لكن خطة رب الأرباب لا تفشل وتصميمه واجب التنفيذ • انه يرسل ايريس الى هيكتور كى تنصحه بالابتعاد عن الميدان أينما وجد أجاممنون ، وتأمره بأن ينتظر قليلا حتى يصاب أجاممنون فيترك الميدان لهيكتور • وقد كان ماوعد به زيوس • أصيب أجاممنون وترك ساحة القتال ، وصال هيكتور فى الساحة وجال • عندئذ يتدخل أودوسيوس وديوميديس فيحدثان بعض التوازن بين الطرفين• لكن سرعان مايصاب ديوميديس ، فيصبح أودوسيوس وحيدا يشعر بالمرارة وخاصة بعد أن ترك أيضا ساحة القتال • ويحمل

نسنورماخاؤون جريحا فوق عجلته الحربية . فى أثنـاء ذلك كان أخيليوس يراقب القتال من أعلى مقدمة سفينته الضخمة ، وكان مشوقا لمعرفة شخصية ذلك الشخص الذى يحمله نستور . ويرسل صـديقه باتروكلوس الى نستور لمعرفة ذلك . ينتهـز نستور العجوز الفرصة فيحاول أن يقنعه بضرورة التدخل والتأثير على صديقه أخيليوس كى ينضم الى صفوف الاغريق أو يعير أسلحته وحلته العسكرية لصديقه باتروكلوس فينزل الى الميدان فيثير الرعب فى نفوس الاغريق . ويبدو أن باتروكلوس قد تأثر بحديث نستور ، لكنه لا يعده بشىء . لكن أثناء عودته الى معسـكر صديقه أخيليوس يقابل يوروبولوس جريحا فيخف لنجدته ، فيشرح له الجريح مدى مايقاسيه الاغريق من أهوال على يد الطرواديين .

الأنشودة (١٢)

تبدأ هذه الأنشـودة بوصف جزء آخر من المعركة العظيمة ، ويسـتمر هذا الوصف حتى نهاية الأنشـودة الخامسـة عشرة . يقاتل الاغريق باسـتماتة دفاعا عن الأسوار التى أقاموها حول المنطقة الراسية فيها سفنهم . ولعل من الجدير ملاحظة أن هوميروس لم يصف لنا كيف تقهقرت الجيوش الاغريقية من أسوار طروادة الى الأسوار التى أقامها الاغريق على الشاطىء البعيد . لكن لا بأس من الافتراض بأن ذلك قد حدث أثنـاء حديث هوميروس

عن باتروكلوس ومقابلته لنستور ومساعدته ليوروبولوس .
كما أننا سوف نعلم عند نهاية الأنشودة الخامسة عشرة بأن هيكتور على وشك أن يحرق السفن الاغريقية . فاذا ما عدنا الى أحداث الأنشودة الثانية عشرة رأينا الاغريق يتقهقرون الى سفنهم والطرواديين يحاولون اقتحام الأسوار المحيطة بالمنطقة . اقترح هيكتور فى بادىء الأمــر على الطرواديين أن يندفعوا نحو تلك الأسوار بعجلاتهم الحربية لكن بولوداماس عارض اقتراحه، واقترح هــو بدوره على الطرواديين أن يتركوا عجلاتهـم الحربية عند حافة الخندق المحيط بالأسوار . وهذه هى المرة الأولى التى يظهر فيهــا بولوداماس مستشارا عسكريا لهيكتور ، وســوف يظل يقوم بهذا الدور حتى نهاية الأنشــودة الثامنــة عشرة . ويفشــل الطرواديون فى أول الأمر فى تنفيــذ عمليــة الاقتحام ، فينصــحهم بولوداماس بالانســحاب . لكن هيكتور يأمر بمواصلة عملية الهجوم والاقتحام ، فينجح ساربيدون فى اقتــحام جزء من تلك الأسوار ويستطيع هيكتور أن يحطم جزءا من احدى بواباتها .

الأنشودة (١٣)

بالرغم من تصميم زيوس الأكيد وأوامره المشــددة بعدم تقديم أية مساعدة للاغريق ،فان الآلهة لم تستطع على ذلك صبرا . عندئذ يظهر بوسيدون فى هيئة العراف الاغريقى كالخاس ويلهب مشــاعر الاغريق بالعبــارات الحماســية . ثم يظهر أيضا فى صورة رجل عجوز يدعى

ثوآس ، لكنه يشعر بالأسى الشديد عندما يشاهد بعينيه حفيده أمفيماموس وهو يلقى مصرعه على يد هيـــكتور . وتبدأ كفة الاغريق فى الرجحان عندما يشترك ايدومينيوس ملك كريت فى القتال ، لكن بولوداماس ينصح بضرورة جمع شـــتات الطرواديين ، ويرى أن أخيليوس لن يظل بعيدا عن ســاحة القتال أكثر من ذلك . ويذعن هيكتور لنصيحة بولوداماس فيجمع شـــمل القوات الطروادية ، لكنه فى نفس الوقت يستبعد احتمال عودة أخيليوس الى الميدان والاشتراك مع الجيوش الاغريقية .

الأنشودة (١٤)

يترك نستور ماخاؤون الجريح ، ويخرج ليستطلع أنباء القتال . يقابل ديوميديس وأودوسيوس وأجاممنون، الجميـــع عائدون جرحى من ميدان القتال . يتـــحدث أجاممنون للمرة الثالثة عن رغبته فى الانســحاب ، لكنه يقترح فى هذه المرة أن يكون انسحاب الجيوش الاغريقية تحت جنـــح الظلام . لكن أودوســـيوس وديوميـــديس لايوافقانه على ذلك . وينبرى بوسيدون مرة أخرى يبث العزم من جديد فى قلب أجاممنون ، ويشجع بنبراته القوية جنـــود الاغريق . لكن كيد النســــاء يبرز بين صفوف الرجال : تســتعير هيراصولجان أفروديتاوتبث عن طريقه الشوق فى قلب زوجها زيوس ، فتجرفه النشـــوة ويغلبه النعــاس . وسرعان ما يسرع هوبنوس « النـــوم » الى بوسيدون ليخبره بأنه أصبح قادرا على مد يد العون الى

الاغريق أثناء نوم زيوس • وترجح كفة الاغريق ، فيهوى أياس بحجر ضخم فوق رأس هيكتور . فيخر الأخير فاقد النطق • ثم تتوالى الكوارث والنكبات على الطرواديين •

الأنشودة (١٥)

لكن سرعان ما يصحو زيوس من غفلته ، ويكتشف كيف أوقعت به زوجته الماكرة • ويبدأ زيوس فى تنفيذ مشيئته ، وتعلم هيرا بما ينوى زيوس أن يفعله • سوف يرسل زيوس ربة النزاع ايريس لتستدعى بوسيدون من ساحة الحرب ، وسوف يرسل أبوللون أيضا ليشد من أزر هيكتور • لكن هيرا تطرب لذلك ، اذ أنها تعرف نتيجة ما هو مقدم عليه رب الأرباب : سوف يطارد الطرواديون الاغريق حتى يضطروا الى العودة الى سفنهم ، عندئذ سوف يرسل أخيليوس باتروكلوس ليشارك فى القتال نيابة عنه ، وسوف يحرز باتروكلوس انتصارات عديدة ، لكنه فى النهاية سوف يلقى مصرعه على يد هيكتور ، وسوف يقتل أخيليوس هيكتور انتقاما لموت صديقه باتروكلوس• عندئذ سوف يتقرر مصير طروادة • ففى النهاية سوف يتم تدميرها بواسطة حيلة من حيل أثينة (أى بواسطة الحصان الخشبى) • كانت هذه هى رغبات زيوس ، وبالتالى فان هيرا تسارع بابلاغها لآلهة الأولومبوس • وتتقدم أثينة لتمنع آريس من التدخل فى القتال • ويضطر بوسيدون رغم أنفه للاذعان لأوامر زيوس التى تنقلها له ايريس •

وأثنـاء ذلك يكون هيكتور مسـتمرا في مطاردة القوات الاغريقية في عزم وتصـميم ، ويرغمهم في النهايـة على التقهقر نحو معسكرهم · عندئذ يخبرنا هوميروس أن أبوللون يدمر الخنـادق بنفسه ويحطم الأسوار ، فيثير الرعب في نفوس الاغريق · وعنـدما يقتحم الطرواديون المعسـكر الاغريقي ، يفر باتروكلوس تاركا يوروبولوس الجريح ، ويـذهب الى أخيليوس · وتواصـل القـوات الطروادية تقدمهـا ، وتنهـار مقاومة الاغريق ، ويقذف الطرواديون السـفن الاغريقية بالنيران · لـكن أياس التـلاموني هو الذي يظـل وحده صـامدا في وجه الطرواديين ·

الأنشودة (١٦)

يتوسل باتروكلوس الى أخيليوس ، دون جدوى ، ان أخيليوس لن ينسى الاهانات التي لحقت به على يـد الاغريق · لكنه يوافق في النهاية أن يعير حلته العسكرية وأسلحته لصديقه ويسمح له بالخروج على رأس قواته (قوات أخيليوس) للاشتراك مع باقي الجيوش الاغريقية · ويطلب أخيليوس من صـديقه أن يطارد الطرواديين حتى يبعدهم عن المناطق الراسية فيها السفن ، لكن ينهاه أن يذهب الى أبعد من ذلك ، أو أن يتحدى واحدا من الآلهة الذين يمدون يد العون الى الطرواديين · يستحث أخيليوس صديقه كي يسرع في تحركاته حتى لا تنهار مقاومة أياس – كما رأينا في نهاية الأنشودة السابقة – ويتوسل الى

زيوس أن يعيد اليه صديقه سالما غانما • وينطلق باتروكلوس من فوره نحو ميدان القتال ، وتتقهقر قوات الطرواديين أمامه وقد أصابهم الفزع والذعر • يلقى ساربيدون - ابن رب الأرباب - مصرعه على يد باتروكلوس • وتدور معركة ضارية حول جثته ، فيسمح زيوس لأبوللون أن يدافع عنها ، ثم يصدر أوامره لاله الموت واله النوم أن ينقلاها الى لوكيا بعيدا عن ميدان القتال • وفى غمرة الانتصار والحماس ينسى باتروكلوس تحذير صديقه أخيليوس ، فينطلق خلف القوات الطروادية حتى يصل الى أسوار طروادة • لكن أبوللون يتصدى له ، ويلهب حماسه ، ويحرضه على مواصلة القتال وهو فى هيئة آدمى يدعى آسيوس ، وما أن تميل الشمس نحو المغيب حتى يتجلى أبوللون نفسه ويقف خلف باتروكلوس، ثم يطعنه طعنة قاتلة بين كتفيه وخلف الرقبة • ثم يصيبه يوفوربوس أيضا من الخلف ، ويجهز عليه هيكتور بحربته •

الأنشودة (١٧)

وما أن يهوى باتروكلوس حتى تدور معركة ضارية حول جثته • يقتل منيلاووس يوفوربوس ، لكنه يتقهقر أمام هيكتور ، الذى ينتزع أسلحة أخيليوس التى كان قد أعارها لباتروكلوس ويأخذها لنفسه • ويستميت الاغريق فى الدفاع عن جثة باتروكلوس ، وذلك تحت

قيادة أياس • فجأة يلف الظلام ساحة الوغى ، ويسيطر الحزن على خيول أخيليوس لمصرع باتروكلوس • لكن أثينة وأبوللون يزيدان من ضراوة القتال حول جثة باتروكلوس • ونتيجة لتوسلات أياس **يزيح ديوس** الظلام ويضيء المكان • يستطيع منيلاووس ان يتوصل الى أنتيلوخوس بن نستور العجوز فيرسله الى أخيليوس لينقل اليه أنباء هزيمة الاغريق ومصرع باتروكلوس • وتظل كفة الطرواديين راجحة ، ورغم ذلك يستطيع منيلاووس ومريونيس أن يسحبا جثة باتروكلوس بعيدا ، بينما يحمى أياس ظهريهما أثناء الانسحاب •

الأنشودة (١٨)

يسيطر الحزن على أخيليوس عندما يسمع نبأ مصرع رفيقه باتروكلوس ، تخف والدته ثيتيس تصاحبها حوريات الماء الأخريات لمواساته • تعده والدته أن تمده بأسلحة أخرى وبحلة عسكرية أخرى غير التى استولى عليها هيكتور ، ثم تنبؤه بأن موت هيكتور سوف يتبع مباشرة موت باتروكلوس • يصرخ أخيليوس صرخة ينتشر صداها فى الأفق العريض فيفزع لها الطرواديون عن آخرهم ، لكن هيرا تأمر الشمس بأن تغيب ، ويتوقف القتال على أن يستأنف فى صباح اليوم التالى • يكرر بولوداماس تحذيره للطرواديين ، لكن هيكتور يتجاهل

ذلك التحذير ويبدأ في جمع شتات قواته استعدادا لقتال الصباح • يقضي أخيليوس ساعات طويلة من الليل يبكى رفيقه ، بينما يقضي هيفا يستوس ساعات من الليل أيضا فى صنع أسلحة جديدة لأخيليوس ، بناء على طلب والدته ثيتيس ، ـ وخاصة ذلك الدرع الرائع الذى أسهب هوميروس فى وصف ما نقش عليه من مناظر طبيعية ومشاهد منقولة من الحياة •

الأنشودة (١٩)

ومع قدوم الفجر تحضر ثيتيس الأسلحة الجديدة الى ابنها أخيليوس ، وتصب سائل الأمبروسيا على جثة باتروكلوس لتحفظها من التعفن • يستدعى أخيليوس المجلس العسكرى الأعلى للاغريق ، ويعلن أنه قد تخلص الآن من غضبه وأنه مستعد للقتال ويتحدث أجا ممنون فيشكو من زيوس الذى أوحى اليه بارتكاب كلُ تلك الحماقات التى كادت تؤدى بالجيوش الاغريقية الى الدمار • ويعد أجاممنون بأنه سوف يعوض أخيليوس ما سلبه ، ويؤكد له أنه لم يقرب بريسيس • ثم ينهض أخيليوس من فوره ، ويتسلح بأسلحته الجديدة ، ويأخذ فى تنظيم الصفوف وترتيب الجيوش • ويخرج على رأس الجيوش الاغريقية الى ساحة القتال بينما تنطق خيوله بعبارات مؤداها أن أخيليوس هالك لا محالةوان ساعة هلاكه قد أصبحت وشيكة •

الأنشودة (٢٠)

في هذه الأنشودة يصف هوميروس معركة من أشد المعارك التي يصفها في الالياذة بأكملها · ففي هذه المعركة ترك زيوس للآلهة الحبل على الغارب ، ومنحهم حرية كاملة في التصرف ، وسمح لكل منهم أن يشترك في القتال بالقدر الذي يروق له · ان زيوس نفسه يثير العواصف والأعاصير ، ويوسيدون يبعث بالزلازل ، لكنهما لا يشتركان اشتراكا فعليا في القتال · وينقذ بوسيدون آينياس ، كما ينقذ أبوللون هيكتور ، أما أخيليوس فانه فارس الميدان الأوحد ، ينشر الموت والدمار حيثما سار ·

الأنشودة (٢١)

يدور القتال في ضراوة وعنف بجوار نهر سكامندر· لقد ملأ أخيليوس مجرى النهر بالجثث ، وقبض على اثني عشر شابا وأمر بأن يقدموا أضاحي حول جثة باتروكلوس · يتوسل لوكاؤون بن برياموس اليه كي يعفو عنه ، لكنه يصرعه ويلقي بجثته أيضا في النهر · ويشكو النهر من كثرة الجثث التي القيت في مجراه ، لكن أخيليوس لا يأبه بشكواه ، فيهدد النهر بفيضان جارف · وينفذ النهر تهديده ، ويفيض على الجانبين · عندئذ يتدخل بعض الآلهة : يطلق هيفا يستوس نيرانه على المياه الجارفة المنطلقة على الأراضي المحيطة فيجففها ويهزم النهر وتعود مياهه الى مجراها الطبيعي · أما باقي

الآلهة فكل يحارب بطريقته الخاصة : تصيب أثينة آريس بحجر ضخم ، بينما يرفض أبوللون أن يقاتل بوسيدون من أجل البشر • والآن يعـــود جميـع الآلهة الى قمة الأولومبوس • ويتصدى أجينور لأخيليوس عند البوابة لكن أبوللون ينقـذ أجينور من براثن البطل الاغريقى ، ويتقمص شـــخصيته ثم يحاور أخيليوس ويضلله حتى يتمكن الطرواديون من التقهقر الى داخل أسوار طروادة •

الأنشودة (٢٢)

لـكن هيكتور يظـــل خارج أســوار المدينة ، رغم توســلات والدته هيكوبى ووالده برياموس • انه يتذكر الآن تحذير بولوداماس من احتمال عـودة أخيليوس الى ساحة القتال • ويعتقد أنه مسئول عن طروادة بأكملها ، فيصول ويجول خارج الأسوار • يتقدم أخيليوس نحوه ، لكن هيكتور يهرب منه ثلاث مرات حول أسوار طروادة • فى ذلك الوقت يتخلى أبوللون عن أخيليوس ، لكن أثينة تعرقل هروب هيكتور بأن تظهر له فى هيئة ديفوبوس ـ شقيق هيكتور ـ وتعده بالمساعدة • وبذلك يستطيع أخيليوس أن يلحق به • ويتوسل هيكتور اليه أن يعيد جثته الى أهله ان هو تغلب عليه • لكن أخيليوس يصرعه ويربط جثته فى عجلته الحربية ويســـحبها من خلفه ، ويذهب بها نحو السفن الاغريقية • وتنتهى الأنشــــودة ببكاء برياموس وهيكوبى وأندروماخى •

الأنشودة (٢٣)

مع بداية هذه الأنشودة يلاحظ القارىء وجود جثتين تنتظران مراسم الدفن : جثة باتروكلوس وجثة هيكتور . يحتفل الاغريق بدفن جثة باتروكلوس : يطوفون حولها ثلاث مرات ، ثم يقومون بمراسم الجنازة المعتادة . لكن شبح باتروكلوس يظهر لأخيليوس ويطلب منه الاسراع فى احراق الجثة . وفى صباح اليوم التالى يعد مكان للحرق ، وليس وقود النيران سوى طروادبين أحياء من بينهم الاثنا عشر شابا الذين قبض عليهم أخيليوس قبل أن يصرع هيكتور . وفى صباح اليوم التالى لعملية الحرق يجمع الرماد المتبقى من جثة باتروكلوس ، وتقام حوله الألعاب والمباريات الرياضية حسب التقاليد الاغريقية . ويقوم أخيليوس بدور كبير فى تنظيم تلك المباريات ، وفى الحكم على المتبارين ، وفى توزيع الجوائز على الفائزين .

الأنشوة (٢٤)

رغم كل ذلك فان حزن أخيليوس من أجل موت رفيقه باتروكلوس يزداد يوما بعد يوم ، ثم غالبا ما كان يتحول ذلك الحزن الى سخط شديد فينهض أخيليوس من فوره ويربط جثة هيكتور خلف عجلته الحربية ويسحبها حول قبر رفيقه الراحل . حتى كان اليوم الثانى عشر منذ مقتل هيكتور ، حين تدخلت الآلهة كعادتها . وفى هذا المكان من الالياذة يفصح هوميروس عن أسباب غضب

هيرا وأثينا من الطرواديين : انه الحكم الذى أصدره باريس ضـــدهما والتفاحة الذهبية التى منحها لافروديتا • ثم يواصـــل هوميروس روايته مرة أخـــرى • حاولت بعض الآلهة أن تضع حدا لغضب أخيليوس وانتقامه • فذهبت حورية البحر ثيتيس الى ولدها أخيليوس تطلب منه اعادة جثة هيكتور الى والده • وفى نفس الوقت ذهبت ايريس الى برياموس وطلبت منه أن يتوجه الى معسكر أخيليوس• وتحت جنح الليل خرج الملك العجوز برياموس من طروادة وهو يحمل الهدايا لمن قتل ابنه الأكبر هيكتور • وعندما يرى أخيليوس برياموس العجوز يتذكر الأول والده الذى تركه خلفه قبل أن يرحل مع الحملة الاغريقية • ويستولى عليهما البكاء ، وينسى كل منهما همومه ويتخلص من غضبه• ويعود برياموس الى طروادة ومعه جثة هيكتور • ويتم الاتفاق على وقف القتال لمدة اثنى عشر يوما ليستطيع كل من الفريقين دفن القتلى • ثم ينتقل المنـــظر الى طروادة حيث تبكى هيكوبى وأندروماخى وهيلينا بكاء مرا حول جثة هيكتور• ويظل الطرواديون تسعة أيام يجمعون الحطب والأخشاب ، ثم يقيمون بعد ذلك محرقة ضخمة • ويتم حرق جثة هيكتور قبل انقضاء فترة وقف القتال •

تلخيص لأحداث الأوديسا

الأنشودة (١)

مع بداية الأنشودة الأولى يكون أودوسيوس قد وصل الى جزيرة كالوبسو ، وهى أقصى بقعة من بقــاع العالم يصل اليها أثناء تجواله الطويل· فلقد ظل بوسيدون يضع العراقيل فى طريق البطل العائد · ومع بداية الأنشودة الأولى أيضا يكون بوسيدون قد ذهب الى أرض الأثيوبيين، بينما يكون الآلهة ـ من ناحية أخرى ـ مجتمعين فى قصر زيوس الواقع فوق قمة الأولومبوس · وأثناء الاجتمــاع يندد زيوس بالجرائم التى يرتكبها البشر ، ولعله يقصد بذلك الاشارة الى انتقام أورســتيس لوالده أجاممنون من والدته كلوتمنسترا وعشيقها أيجيسثوس · ولعل المقصود بالاشارة الى انتقام أورستيس فى هذا الموقف بالذات هو وضع أورستيس فى مقارنة مع تليماخوس بن أودوسيوس، بل ان هومــيروس قد فعل ذلك ليس فقط فى الأنشــودة الأولى بل وفى الأنشودتين الثالثة والرابعة أيضا · وتحاول

أثينة اقناع زيوس بضرورة مساعدة أودوسيوس على العودة الى وطنه سالما • ويوافق زيوس • انه سوف يرسل الاله هرميس لاقناع كالوبسو بضرورة اطلاق سراح أودوسيوس أما أثينة نفسها فتتجه نحو ايثاكا • وعندما تصل الى هناك تتقمص شخصية آدمى يدعى منتيس • وتقابل الربة تليماخوس ، ويدور الحديث بينهما حول موقف الابن من أعداء والده والطامعين في والدته : ان والده غائب عن المدينة ، والطامعون يمرحون في القصر لا يأبهون به ولا يحافظون على كرامته أوسمعته • وتنصحه أثينة أن يجمع أهل ايثاكا ويطالبهم بأن يساعدوه فى ايجاد حل لهذه المشكلة ، وأن يذهب بعد ذلك الى أحد أصدقاء والده ليسأله عنه • وعندما ترحل أثينة يكتشف تليماخوس أنه انما كان يتحدث مع الهة • ويبدو بعد ذلك من حديثه مع والدته ومع الطامعين أنه قد أصبح يواجه الأمور بذهن متفتح وعقل أكثر نضجا من ذى قبل •

الأنشودة (٢)

فى اليوم التالى يعرض تليماخوس الأمر على أهالى ايثاكا وعلى الطامعين • ويدور نقاش بينه وبين كل من أنتينوس ويوروماخوس ، اذ أن الأخير يستخف بالنصيحة التى قدمتها اليه أثينة (تماما كما يستخف أيجيسثوس ـ بالنصيحة التي يقدمها اليه أبوللون على لسان كاساندرا) • ويبدو فى هذه اللحظة بوضوح أن الطامعين هم المسيطرون

على مقاليد الأمور فى ايثاكا • ويرفض الجميع معاونته فى الحصول على سفينة يستخدمها فى البحث عن والده ، كما أن ليوكريتوس يفض الاجتماع فى كبرياء وعجرفة • وبالرغم من كل ذلك تصمم أثينة على مساعدة تليماخوس، فتتقمص شخصية آدمى يدعى منتور ، وتصطحب الابن التعس الى احدى السفن الراسية على الشاطىء، وتساعده، على الابحار أثناء الليل •

الأنشودة (٣)

وتصل السفينة الى شواطىء يولوس ، فيجد تليماخوس ورفاقه الملك نستور يقدم القرابين للاله بوسيدون • يرحب الملك بتليماخوس ويروى عليه مايعرفه من أخبار بعض القادة الاغريق الذين اشتركوا فى حرب طروادة ، لكنه يخبره بأنه لا يعرف شيئا عن والده أودوسيوس • فتغادر أثينة المكان أثناء الليل مرفرفة بجناحيها على هيئة نسر ، ويرحل تليماخوس فى صباح اليوم التالى بمصاحبة بيسستراتوس بن نستور فيصلان الى اسبرطة فى اليوم التالى •

الأنشودة (٤)

وعندما يصل الجميع الى اسبرطة يجدون منيلاووس ملك اسبرطة منهمكا فى الاحتفال بزواج ابنه وابنته • ويروى منيلاووس وهيلينا على تليماخوس ما قام به

أودوسيوس من أعمال رائعة أمام أسوار طروادة وما أنجزه من معجزات داخل المدينة أيضا • ويسأل الولد عن مصير والده ، فيروى عليه منيلاووس ما تعرض له من أهوال أثناء عودته الى وطنه • ويخبره أنه أثناء تجواله قابل بروتيوس العجوز الذى أنبأه بموت أياس ومصرع أجاممنون ، والذى أخبره أيضا أن أودوسيوس يقيم الآن فى جزيرة كالوبسو• وتقام مأدبة ضخمة لتليماخوس فى أسبرطة • وفى نفس الوقت ينتقل المنظر الى ايثاكا فيعرف الجمهور أن الطامعين يضعون خطة لقتل تليماخوس فور عودته الى ايثاكا• وتعلم بنيلوبى زوجة أودوسيوس بما يدبره الطامعون ، وتشعر بهم وقلق ، لكن أثينة تزورها فى نومهـــا وتطمئنها على ولدها •

الأنشودة (٥)

ينعقد مجلس الآلهة مرة أخـرى ، وتعرب أثينه عن غضبها لما يلاقيه أودوسيوس من متاعب وأهوال • عندئذ يبدأ زيوس فى الاهتمام بموضوع أودوسيوس بصـــورة جدية • فيفى بوعده الذى كان قد قطعه على نفسه قبـل ذلك : فيرسل هرميس الى كالوبســو ليخبرها بأن زيوس يأمرها بأن تسمح لأودوسيوس بالرحيل • وتنفذ كالوبسو على الفور أوامر رب الأرباب ، فتخبرأودوسيوس بأن له الحرية الآن فى الرحيل أو البقاء ، وتطلب منه ان رغب فى الرحيل ــ أن يجهز سـفينة يستخدمها فى العودة الى

وطنه • ويسرع أودوسيوس فى تجهيز السفينة ، ويخرج بها فى عرض البحر • وبعد مسيرة ثمانية عشر يوما يلمح بوسيدون ـ أثناء عودته من بلاد الأثيوبيين ـ أودوسيوس وهو يمر بسفينته بالقرب من منطقة سخيريا • ويسيطر الغضب على بوسيدون ، فيبعث بالموجة تلو الموجة ويدفع بطوفان عال يقلب السفينة بمن فيها • لكن أودوسيوس ينجو بأعجوبة من بين حطام السفينة ، ويصل بعد ثلاثة أيام الى شاطىء سخيريا حيث يغط فى نوم عميق •

الأنشودة (٦)

تنطلق أثينة تحت جنح الظلام ، وتزور ناوسيكا أثناء نومها ، وتنصحها ان تذهب الى الشاطىء مع صاحباتها ليغسلن ملابسهن • وتفعل ناوسيكا ما تأمرها به أثينه ، فتذهب الى تلك المنطقة من الشاطىء حيث ينام أودوسيوس • وفجأة يصحو أودوسيوس من نومه ، فتهرب الفتيات • لكن ناوسيكا تظل بجانبه ، تساعده على أن يغتسل ويغسل ملابسه ، ثم تصطحبه الى آجمة أثينة المقدسة الواقعة خارج المدينة •

الأنشودة (٧)

يتقدم أودوسيوس نحو المدينة ، تظلله سحابة أطلقتها أثينة من حوله حتى لا يراه أحد • ويخترق البطل شوارع المدينة حتى يصل الى قصر الملك ألكينوس

والد ناوسيكا • يركع أودوسيوس ـ دون أن يراه أحد ـ عند قدمي الملكة أريتي ، ويلمس ركبتيها • عندئذ تنقشع السحابة من حوله فيكتشف الملك وجوده ، ويرحب به دون أن يسأله عن اسمه أو موطنه • بعد ذلك تحاول الملكة أن تعرف شيئا عن حياته ، فيروى لهـا ما تعرض له من أهوال في البحر دون أن يفصح لها عن شخصيته • ويرق قلب الملك ، فيعده بمساعدته على العودة الى وطنه •

الأنشودة (٨)

ويتأخر رحيل أودوسيوس • اذ يعرض عليه الملك ألكينوس أن يحضر الحفل الذى سوف يقيمه الملك، والذى سوف ينشد فيه منشد القصر ديمودوكوس أناشيد تدور حول مغامرات أخيليوس وأودوسيوس • ويبدأ الحفل ، ويتصدر أودوسيوس الضيوف ، ثم يبدأ ديمودوكوس فى الانشاد • انه ينشد قصة الغرام الذى نشأ بين آريس وأفروديتا ، ثم ينشد قصة الحصان الخشبى• عندئذ يبكى أودوسيوس ويصبح غير قادر على اخفاء انفعالاته ، فيسأله ألكينوس من يكون ، ومن أين جاء ، ولماذا يبكى هذا البكاء المر •

الأنشودة (٩)

يكشف أودوسيوس عن حقيقة أمره ويفصح عن شخصيته ، ثم يروى قصته كاملة : بعد سقوط طروادة دمر أودوسيوس ايسماروس ، لكن كان عليه أن يفر هاربا

من هجمات الكيكونيس • وتضطره عاصـــفة شديدة الى الاتجاه نحو الشاطيء والمكوث هناك لمدة يومين • ثم يحاول أودوسيوس ورفاقه بعد ذلك الطواف بمـاليا • لكن تهب عاصفة من الشمال فتشتت أسطولهم وتطاردهم لمدة تسعة أيام كاملة فوق سطح البحر • وفي اليوم العـاشر تقذف بهم الأمواج نحو الشاطيء حيث يقـابلون جماعة من آكلي نبـات اللوتس • ويأكل رفاق أودوسيوس بعض هـذه النبـاتات فتجعلهم ينسون أوطـانهم ويرفضون مغادرة المنطقة • لكن أودوسيوس بعقله الذكي يعيد اليهم ذاكرتهم• ومن ثم يغادرون تلك البقعة فتقذف بهم الأمواج الى جزيرة يسكنها جمـاعة من المردة يعرفون بالكوكلوبيس • ويقع أودوسيوس ورفاقه في قبضة أحد هؤلاء المردة ـ ويدعى بولوفيموس ـ فيلتهم عددا كبيرا منهم • لكن أودوسيوس ينجو من الهلاك بفضل دهائه وسرعة بديهته بعد أن يفقأ عين المارد الوحيدة الكائنة في مقدمة رأسه ، فيثور المارد ويصرخ طالبا من والده بوسيدون أن ينزل غضـــبه على أودوسيوس •

الأنشودة (١٠)

عندما يغـــادر أودوسيوس جزيرة الكوكلوبيس ، يرسل أيولوس ريحـــا مواتية تدفـع سفينة أودوسيوس ورفاقه الباقين في هدوء وسلام نحـو ايثاكا • لقد أعطى الاله أيولوس الى أودوسيوس حقيبة ، وحذره من أن يفتحها أحد قبـل الوصول الى ايثاكا • لكن حب الاستطلاع جعل

رفاقه يفتحونها فى غفلة منه • عنـدئذ يتضح أن الحقيبة كانت تحتوى على رياح عاصفة مضادة • وتنطلق تلك الرياح من فورها فتدفع سفينة أودوسيوس الى الاتجاه المضاد • ويغضب عليهم أيولوس ويتخلى عن مساعدتهم • وتستمر السفينة بمن فيهـا لمدة ستة أيام تتقاذفها الأمواج حتى تصل الى جزيرة يسكنها جمـاعة أخرى من المردة يسمون لايسترونيس • ويهاجم هؤلاء المردة أودوسيوس ورفاقه فيقتلون عددا غير قليل ، ويغرقون سفن أودوسيوس ماعدا واحدة فقط ، انها سفينة أودوسيوس التى تواصل سيرها حتى تصـل الى جزيرة آيا ، حيث يعيش أيوس ومجموعات الراقصين المعروفين ، وحيث تشرق الشمس من مأواها • فى هذه الجزيرة تعيش الساحرة كيركى ، التى اعتادت أن تحول كل شخص غريب يزور الجزيرة الى خنزير برى • ويتحول رفاق أودوسيوس الى خنازير • لكن بفضل معونة هرميس ، وبفضل استطاعة أودوسيوس الحصول على نوع من أنواع الحشائش السحرية ، ينقذ رفاقه ويعيدهم الى صورتهم البشرية • ثم يقضى أودوسيوس عاما كاملا فى هذه الجزيرة • وعندما يلح أودوسيوس فى السماح له بالعودة الى وطنه فان كيركى ترسل به الى عالم الموتى •

الأنشودة (١١)

تسـتغرق رحلة أودوسيوس الى عالم المـوتى يوما كاملا ، يصل بعده الى أقصى شواطىء المحيط ، الى أراضى الكيميريين ، حيث يعيش البشر فى ظـلام دائم • هنـاك

تنسكب الدماء خلال ثقب فى سطح الأرض ، فيتجمع الأشباح من حوله : ألبينور الذى لقى حتفه فى جزيرة كيركى ، والدة أودوسيوس ، العراف تايريسياس الذى يتنبأ بما سوف يلاقيه أودوسيوس من متاعب أثناء عودته الى وطنه ، والذى يتنبأ أيضا بانتصار أودوسيوس على الطامعين • عندئذ يستعرض هوميروس قائمة من الشخصيات النسائية التي تسكن عالم الموتى • ثم يتحدث أودوسيوس مع كل من أجاممنون وأخيليوس ، ثم يذكر لنا أسماء الأبطال الذين لقوا حتفهم فى ميدان الشرف والمدنسين الذين ارتكبوا الخطايا • عندئذ يتوقف أودوسيوس عن الحديث ويذكر محدثه ألكينوس بالوعد الذى قطعه على نفسه بأن يقدم له العون كى يعود الى وطنه سالما • لكن ألكينوس ومن حوله يطلبون من أودوسيوس أن يواصل روايته الشائقة ، بينما يؤكد ألكينوس لأودوسيوس أنه سوف يقدم له كل معونة ممكنة فىصباح اليوم التالى •

الأنشودة (١٢)

ويواصل أودوسيوس روايته • لقد تعرض لأهوال لا حصر لها وصعوبات غير محتملة بينما كان يمر بمناطق السيرينيس وسكيلا وخاريبديس حتى وصل أخيرا الى تريناكيا ومنطقة ثيران اله الشمس • هناك لم يستطع رفاق أودوسيوس احتمال الجوع فانقضوا على ثيران يملكها اله الشمس فذبحوها والتهموا لحمها السمين • وثار اله

الشمس هيليوس ، وطلب من زيوس أن ينتقم له، فأرسل رب الأرباب عاصفة أطاحت بسفينة أودوسيوس ورفاقه في عرض البحر • واستمرت الأمواج تتقاذف السفينة لمدة تسعة أيام متوالية حتى ألقت بها في آخر الأمر الى شواطىء أوجيجيا حيث توجد جزيرة كالوبسو • هكذا روى أودوسيوس على ألكينوس قصة تجواله الطويل •

الأنشودة (١٣)

وفي صباح اليوم التالى قدم ألكينوس المؤن والهدايا الى أودوسيوس وودعه على الشاطىء ، وبدأ أودوسيوس رحلة العودة الى أرض الوطن • لكن بوسيدون مازال يقف له بالمرصاد • انه يحول سفينة أودوسيوس الى كتلة من الحجر ، لكن أثينة تصنع سحابة وتجعل أودوسيوس يسير فوقها دون أن يلمحه أحد حتى يصل الى ايثاكا • عندئذ تتجلى له الربة في هيئتها الربانية ، وتساعده في اخفاء الهدايا التى كان يحملها من عند الملك ألكينوس • ثم تناقشه في كيفية القضاء على الطامعين • وأخيرا يتفق الاثنان على أن أثينة سوف تجعله يظهر في هيئة شحاذ عجوز •

الأنشودة (١٤)

يبحث أودوسيوس عن شخص يؤويه في مكان أمين في ايثاكا كي يكون على مقربة من القصر الملكى • يبحث عن راعى قطعانه الذى يدعى يومايوس ، ويقابله ويطلب منه

أن يؤويه فى كوخه دون أن يفصح له عن شخصيته — فهو ما زال فى هيئة شحاذ عجوز • ويرحب به يومايوس، ويقدم له طعاما وفراشا متواضعا ، ويقضى الليل فى كوخ الراعى •

الأنشودة (١٥)

تذهب أثينة الى اسبرطة ، حيث يوجد تليماخوس ، وتطلب منه أن يعود الى ايثاكا • وأثناء عودته يقابل العراف ثيوكلومينوس عند مدينة بولوس • لقد أراد ذلك العراف أن يهرب من المدينة ، لذلك يطلب تليماخوس منه أن يصاحبه الى ايثاكا • عندما يصل تليماخوس الى ايثاكا ، تعاونه أثينة وتدافع عنه ، اذ أنها تعلم أن الطامعين كانوا قد أعدوا خطة للقضاء عليه • أثناء ذلك كان أودوسيوس يقضى الليل فى كوخ يومايوس ، يسأله عن أخبار والد أودوسيوس لائرتيس وزوجته بنيلوبى • ومع فجر اليوم التالى وصل تليماخوس الى ايثاكا وقصد من فوره الى كوخ يومايوس حتى يأمن شر الطامعين •

الأنشودة (١٦)

يغادر يومايوس الكوخ ، ويتجه نحو القصر الملكى ليخبر بنيلوبى بعودة تليماخوس • وينفرد تليماخوس بالشحاذ العجوز ، فيفصح له عن شخصيته الحقيقية ، وتعيده أثينة الى هيئته الأصلية • ويتم اللقاء بين الولد والوالد ، ويتفق الاثنان على خطة للقضاء على الطامعين

وتطهير القصر الملكي من شرورهم • يحـدث كل ذلك قبل عودة يومايوس الى الكوخ • وعندما يعلم الطامعون بعودة تليماخوس سالما ، يدبرون خطة أخرى للقضاء عليه •

الأنشودة (١٧)

فى صباح اليوم التالى يتجه تليماخوس نحو المدينة• ويذهب الى هناك أيضا يومايوس بمصاحبة الشحاذ العجوز (أودوسيوس) • يقابل تليماخوس والدته ، وفي مكان آخر من القصر يوجـــد ثيوكلومينوس الذى يتنبـــأ بوجـــود أودوسيوس فى ايثاكا • عندما يدخل أودوسيوس المدينة يقابله راع آخر يدعى ميلانثيوس فيوبخه ويسىء معاملته• لكنه عنـــدما يقترب من القصر يراه كلبه العجوز فيتعرف عليه على الفور ويحاول أن ينهض ليرحب به ، لكن الكلب المسكين لا يقوى على ذلك ، ويسلم الروح سعيدا لأنه رأى سيده الغائب • يدخل أودوسيوس القصر الملكى ، يحاول أن يتعرف على الطامعين ، يقترب منهم ، يسألهم المعونة • لكنهم يســـيئون معاملته ، بل ويقذف أحدهم ـ ويدعى أنتينوس ـ بمقعد صغير فى وجهه فيصيبه فى كتفه • لكن يومايوس يساعده حتى تتاح له الفرصة لمقابلة بنيلوبى • ثم يعود الى كوخ يومايوس فى المساء ليقضى الليل هناك • ان أودوسيوس يفعل كل ذلك وهو فى هيئة شحاذ عجوز•

الأنشودة (١٨)

أثناء احدى حلقـــات المرح التى اعتـــاد أن يقيمها

الطـــامعون شب نزاع بين أودوسيوس الشحاذ العـجوز وشحاذ عجوز آخر يدعى ايروس • لكن أودوسيوس يتغلب على ايروس ، بل انه يتطاول أيضا على أمفينوموس ـ أحد الطـامعين • فى تلك الأثناء تخرج بنيلوبى وتتقدم وسط الطـــامعين المقيمين فى أبهـــاء القصر ، وتعلن استعدادها للزواج من أحدهم ، فتنهال عليها الهدايا• لكن أودوسيوس دائم التطفل على الحاضرين ، مما يجعل احدى الوصيفات ـ وتدعى ميلانثو ـ توبخه وتسىء معـاملته ، ويدفع أحد الطامعين الى أن يقذفه بمقعد صـــغير فى وجهـــه ، لكن أودوسيوس لا يصاب فى هذه المرة •

الأنشودة (١٩)

يبدأ أودوسيوس وتليماخوس فى الاستعداد لتنفيذ الخطة للقضاء على الطامعين • فأخـذا ينقلان أسلحتهم الى خارج البهو الفسيح تحت جنح الليل ، بينما كانت أثينة تضىء لهم الطريق بواسطة شعلة مضيئة تمسكها فى يدها الربانية • وتتاح الفرصة لأودوسيوس مرة أخرى فيقابل بنيلوبى • يروى عليها بعض الروايات : انه يعدها نفسيا حتى لا يفاجئها بخبر عودته• تشعر بنيلوبى نحوه بالشفقة وتطمئن الى حديثه ، فتطلب من يوروكليا ـ مربية عجـوز كانت تتعهده وتقوم بخدمته قبـل رحيله ـ أن تغسل له قدميه وأن تعطيه بعض الثيـاب • لـــكن المربية العجوز تكتشف وجود علامة فى احدى قدميه كانت قد اعتادت أن تراها فى احدى قدمى أودوسيوس قبل رحيله الى طروادة•

وتكتشف المربية حقيقة الشحاذ العجوز : انه أودوسيوس . ويعترف لها أودوسيوس ، لكن يطلب منها أن تخفي حقيقة الأمر حتى عن بنيلوبي نفسها ، وأن تتعاون معه ومع تليماخوس حتى يتم القضاء على الطامعين . وفى صباح اليوم التالى نعلم أن بنيلوبي رأت فى منامها أن القضاء على الطامعين قد أصبح أمرا وشيكا . ولذلك فانها تطلب من الطامعين أن يتباروا في قذف السهام ، على أن يستخدم الجميع قوسا واحدا يتبادلونه فيما بينهم : وهو القوس الضخم الذى كان يستخدمه أودوسيوس . وتخبرهم بقرارها الأخير الذى طالما كانوا يتوقعون سماعه في شغف شديد منذ سنين : انها سوف تتزوج ممن يتفوق فى هذه المباراة .

الأنشودة (٢٠)

يستولى الغضب على أودوسيوس ، عندما يكتشف حقيقة ما يدور فى قصره أثناء غيابه . ان بعض الوصيفات يضاجعن الطامعين ويشاركنهم اللهو والمرح ويشجعنهم على المضى فى أعمال الفسق والفجور . وتحاول أثينة أن تهدىء من غضبه وتخفف من همومه . ويقضى أودوسيوس تلك الليلة داخل القصر ، فى غرفة صغيرة متواضعة . وفى صباح اليوم التالى تعد يوروكليا وباقى الوصيفات المكان من أجل اقامة المباراة . يأتى يومايوس وميلانثيوس ومعهما راع ثالث يدعى فيلويتيوس . ثم يدوى فى جوف الفضاء صوت طائر أرسله زيوس كى يحذر الطامعين من أن يقتلوا

تليماخوس • وقبل بدء المباراة بقليل يقذف أحد الطامعين ـ ويدعى كتسيبوس ـ بحافر بقرة في وجه أودوسيوس، لكنه يخطئه ويصيب الحائط من خلفه • وتنتهى الأنشودة بوصف مرح الطامعين ولهوهم ونبوءة ينطق بها ثيوكلومينوس • فتمهد هذه النهاية لانتقام أودوسيوس والقضاء على الطامعين •

الأنشودة (٢١)

تحضر بنيلوبى قوس أودوسيوس ، ويعد تليماخوس الهدف للمتبارين • يحاول الطامعون ـ الواحد تلو الآخر ـ استخدام قوس أودوسيوس ، لكن يفشل الجميع فى اصابة الهدف وذلك لصلابة القوس وثقله وضخامته • فى هذه اللحظة يفصح أودوسيوس عن شخصيته لكل من يومايوس وفيلويتيوس ، اللذين يعربان عن رغبتهما فى معاونته • وعندما يفشل الطامعون فى اصابة الهدف يقررون انهاء المباراة على أن تعاد مرة أخرى فى اليوم التالى • لكن أودوسيوس ينهض من فوره ، ويصمم على أن يجرب حظه، ويمسك بالقوس ، رغم معارضة الطامعين واحتقارهم وسوء معاملتهم له • عندئذ تغلق يوروكليا الأبواب الموصلة الى داخل القصر حتى لا تخف الوصيفات لمعاونة الطامعين ، بينما يغلق فيلويتيوس الباب الموصل الى الخارج • فى هذه اللحظة يجذب أودوسيوس وتر القوس فى سهولة بالغة ، ويصوب السهم نحو الهدف فيصيبه فى ثقة وثبات •

الأنشودة (٢٢)

وتستولى الدهشة على الجميع • لـــكن أودوسيوس يطلق سهما آخر • انه لا يصيب الهدف فى هذه المرة بل يصيب أنتينوس ـ أحد الطامعين ـ فيرديه قتيلا ، ثم يعلن على الحاضرين ـ والقوس فى يده ـ أنه أودوسيوس ملك ايثاكا ، وأنه انما هو الآن فى قصره ، وأن الوقت قد حان للقضاء على هؤلاء الطامعين الذين دنســوا قصره وأتوا على موارده وحالوا اغتصاب زوجته• ويتصدى له يوروماخوس، لكنه يرديه قتيـــلا • فى هــذه اللحظة يحضر تليماخوس أسلحة الى داخل القاعة حتى يستخدمها هو ووالده وأتباعه المخلصون فى القضاء على الطامعين • لكن ميلانثيوس يحضر أيضا أسلحة ليوزعها على الطامعين كى يدافعوا عن أنفسهم• ويتنبه الى ذلك الراعيــان الآخران يومايوس وفيلويتيوس فيقبضــان عليه • وتشد أثينة من أزر أودوسيوس ، فيتم القضــــاء على الطــــامعين • عندئذ يطلب أودوسيوس من يوروكليا أن تطهر القاعة من دنس الطامعين ، ويأمر باعدام الوصيفات الخائنات ، كما يأمر بقتل ميلانثيوس والتمثيل بجثته • ويهلل التابعون المخلصون ويعبرون عن سرورهم لعودة ملكهم أودوسيوس •

الأنشودة (٢٣)

تنقل يوروكليا نبأ عودة أودوسيوس الى بنيلوبى ، لكن الأخيرة لا تصدق النبأ • وعنــدما يذهب أودوسيوس

اليها في الداخل ويقف أمامها فانها لا تصدق عينيها وتعبر عن دهشتها وعدم اطمئنانها • وبالرغم من ذلك يأمر أودوسيوس أن يقام حفل كبير في القصر • ثم يغتسل ويرتدي أبهى الثياب ، ويذهب مرة أخرى لمقابلة بنيلوبي، لكنها ما زالت غير واثقة من صحة النبأ •انها تعتقد أنه واحد من الطامعين ابتكر هذه الحيلة كي يستطيع أن يتزوجها رغم ارادتها • لكن أودوسيوس يهتدى الى وسيلة يستطيع بها أن يقنع بنيلوبى بعودته اليها • انه يخبرها بسر لا يعرفه سوى بنيلوبى وأودوسيوس ــ سر يتعلق بالعلاقة الزوجية التي استمرت بينهما سنوات قبل أن يرحل • وبهذه الوسيلة وحدها تقتنع بنيلوبى وتطمئن له• ويجتمع شمل الزوجين بعد فراق دام عشرين عاما، ويقضيان الليل يروى كل منهما للآخر ماقاساه من أهوال وماصادفه من متاعب • وعندما تشرق شمس اليوم التالى يتوجه أودوسيوس ليرى والده •

الأنشودة (٢٤)

لقد ذهبت أرواح الطامعين الى العالم الآخر ، الى عالم الموتى ، حيث يوجد اجاممنون • ويدور هناك حديث بين أجا ممنون وأخيليوس وأمفيميدون • والمقصود بذلك المشهد أيضا هو المقارنة بين بنيلوبى التى ظلت مخلصة لزوجها حتى عاد اليها وكلوتمنستوا التى قتلت زوجها أجا ممنون عند عودته • ويذهب أودوسيوس لرؤية والده فيجده فى مزرعته • ويتقابل الولد والوالد فيتبادلان عبارات

الشوق • أثناء ذلك ينطلق والد أنتينوس ويثير الفتنة بين أهالى ايثاكا ، ويجمع من حوله أقارب الطامعين ، ويحملون السلاح ويستعدون لقتال أودوسيوس ، لكن أثينة تتدخل فى الوقت المناسب ، وتوقف القتال ، عندئذ تستقر الأمور فى ايثاكا ويسود السلام ربوع البلاد

عالم الإلياذة والأوديسا

عالم الالياذة والأوديسا عالم غريب . انه ليس بعالم الأبطال كما كان فى العصور الموكينية ، ولا هو بعالم الملوك كما كان فى عصر هوميروس ، ولا هو بعالم خيالى ابتكره مؤلف الالياذة والأوديسا ، لكنه مزيج متوائم متجانس من عوالم مختلفة . انه عالم انسانى قبل كل شىء ، فريد فى مقوماته ،غريب فى أطواره ، لكنه فى نفس الوقت يتصف بالشمولية . فلقد صور هوميروس فى الالياذة والأوديسا عالما خاصا ، واعتمد فى ذلك اعتمادا كليا على براعته فى تصويره للشخصيات .

طبقة العبيد :

عندما يصف هوميروس شخصياته بانها «الهية » أو « شبيهة بالآلهة » فانه بذلك يؤكد انه يتعرض لمجموعة من الشخصيات النبيلة الكريمة . فأغلب شخصياته من ذلك النوع ، ماعدا عددا ضئيلا جدا من أصل متواضع . فحتي يومايوس ـ راعي قطعان أودوسيوس ـ ، الذى

احتطفه الفينيقيون أثناء صباه وباعوه فى سوق الرقيق ، فانه من أصل نبيل • أما الشخصيات التى ليست من أصل نبيل فان كل اشارة اليها فى الالياذة والأوديسا تكون مصحوبة بالتهكم والاحتقار • فثرسيتيس ، الذى يتطاول على ملوك الاغريق أثناء اجتماعهم للتشـــاور فى الشئون العسكرية ، ليس الا انسانا مشاغبا وحقيرا ، انه لا يثير شـــفقة أحد عنـدما يضربه أودوسيوس بالعصا فيترك آثـار الضرب ظاهـرة على جلد ظهره • ودولون ، الذى يحاول بغباء أن يقلد الأبطال فى تصرفاتهم وسلوكهم ليس نبيلا ، بل ثريا ، وانه لسخيف ، اذ أنه شقيق واحد لخمسة شقيقات (!) ، بل ان أحدا لا يهتم به عندما يقع فى قبضة ديوميديس ويلقى مصرعه • ومن بين ذوى الأصل المتواضع أيضا بعض خدم أودوسيوس فى قصره بايثاكا : ميلانثيوس الذى يعمل لحساب الطامعين والذى يدلل على وحشيته وانتهازيته عندما يعامل أودوسيوس باحتقار، وبعض الوصيفات اللائى يضاجعن الطامعين أثنـاء غياب أودوسيوس، واللائى شد أودوسيوس وثاقهن بعد انتصاره على الطامعين وقضى عليهن شر قضاء •

وللعبيد مكانتهم فى عالم الالياذة والأوديسا ، لكن تلك المكانة تتوقف على مدى اخلاصهم ووفائهم لسادتهم • ان هوميروس يقارن من لم يخلصوا لأودوســيوس بمن أخلصــوا له : يومايوس الذى يقف مخلصـا فى جانب تليماخوس فى أول الأمر ، ثم فى جانب أودوسيوس نفسه

بعد ذلك ، يوروكليا المربية العجوز التى تظل رغم كل ما يقابلها من متاعب واضطهاد مخلصة لسيدتها بنيلوبى ، والتى حافظت على حياة سيدها أودوسيوس عندما تعرفت عليه فور عودته ولم تخبر أحدا ـ حتى سيدتها ـ بحقيقة الأمر حفاظا على حياته • ان عالم الالياذة والأوديسا عالم ملكى أكثر منه عالما أرستقراطيا • فمحور المجتمع هو الملك ، فاذا كان جميع الملوك فى الالياذة يخضعون لملك واحد وهو أجا ممنون ، فانما يحدث ذلك بسبب ظروف الحرب • فمثل تلك الظروف تستدعى أن يسلم الجميع القياد الى فرد واحد ، لكننا لا نلاحظ وجود ملك من بين كل هؤلاء الملوك أقل شأنا أو أضعف نفوذا من الآخر •

لقد اهتم هوميروس بالملوك والنبلاء لأن العرف كان يتطلب ذلك الإهتمام ، ولأن ذلك العرف كان يلقى ترحيبا لدى جمهوره الذى يتكون من الملوك والنبلاء الذين أجزلوا له العطاء • ولعل ذلك يعلل تمسك هوميروس بذلك العرف ، رغم أنه قد تغاضى فى بعض الأحيان عن غيره •

طبقة الملوك والنبلاء :

يتصف أبطال الالياذة والأوديسا بالرجولة التى تظهر بوضوح أثناء الحروب ، والحرب ليست المحك الوحيد للبطولة ، لكنها المقياس الحقيقى الذى يحدد مدى مقدرة الرجل وطبيعته وأخلاقه وادراكه • ويبدى أبطال الالياذة

والأوديسا قوة خارقة أثناء القتال • وان وصف هوميروس للمبـــارزات الفردية بين بطلين متســـاويين فى المقـدرة والشجاعة لابد وأنها كانت تلقي اعجابا من المستمعين ، اذ أنهم ربما كانوا يطربون في حياتهم اليومية لمشـاهدة مثل تلك المبارزات بل ويمارسـونها أحيانا • فالشـــخصيات الرئيسية في كل من الالياذة والأوديسا ـ مثل أخيليوس وهيكتور وأياس وباتروكلوس ـ يمتازون بقـدر كبير من حب المغـامرة والبراعة في القتال • انهم يظهرون مواهب رائعة أثناء القتال ، سواء بقوة سواعدهم أو سرعة أقدامهم، مقدرة على سرعة اتخـاذ القرارات ، أو أصـالة فى وضـع الخطط ، أو قوة احتمال لا حد لها ، أو ضراوة فى الهجوم• وبالرغم من أن الأوديسا لا تتناول موضوعا يتعلق بالحرب بطريقة مبـاشرة فان القضـاء على الطـامعين داخـل قصر أودوســـيوس يصـور مزيجـا من التهور النزق والدهاء الواسع •

وان الصـفات التى تظهر أثنـاء القتال هى فى نفس الوقت صفات يجب أن يتصف بها الرجل العظيم ، وبذلك يصبح كريما شهما مخلصا قادرا على التوفيق بين أكثر من رغبة واحدة فى سلوكه نحو النساء أو الطعام والشراب أو استخدام السلاح • ومواهب البدن ضرورية أيضا لاكتمال الصورة المثالية للبطولة ، لكنهـا تحتاج أيضـا الى مواهب العقل والشـخصية • اذ أن كل تلك المواهب تجعل البشر

يبدون أكثر نبلا وتجعل لهم مزيدا من التأثير على الغير ٠
ومثـل هؤلاء البشر جديرون بعـالم الثراء والعظمة الذى يعيشون فيه ٠ ففى قصـورهم ترى الذهب مكدسـا يملأ الخزائن ويزين الأبهـاء والأثاث والثياب ، وفى حيـاتهم اليومية يقوم على خدمتهم جمـاعات من الذكور والاناث ، وفى حظائرهم يحتفظون بقطعان الماشية والخنازير ، وفى ولائمهم ينعمون دائما بما لذ وطاب ٠ وأثناء القتال يفخرون بأسلحتهم وعتادهم الحربى المصنوع من البرونز والمرصع بالذهب أو الفضة أو العـاج ، وفى مجالسـهم لا يظهرون حكمة ولباقة فقط بل ويلفتون الأنظار بفصـاحتهم وطلاقة عباراتهم ٠ وحتى أثناء أحاديثهم العادية فانهم يختـارون أرقى الألفاظ وأجود الأساليب ٠ انهم لا يكرمون الضيوف فحسب ، بل ويسـاعدونهم على الاهتداء الى الأماكن التى يرغبون الاهتـداء اليهـا بعـد أن يقـدموا لهم الهدايا ٠ وبالاضافة الى ذلك فانهم يغدقون فى بذخ أثنـاء القيام بالصلوات ويقدمون الأضاحى فى سخاء على مذابح الآلهة ٠
لقد صور هوميروس فى الالياذة والأوديسا عالما أكثر ثراء وأكثر عظمة من ذلك العالم الذى عرفه وعاش فيه ، وكان عليه أن يضع قصته الانسـانية فى قلب ذلك العالم ٠ وهكذا صـاغ هوميروس قصـته عن البشر داخل اطار بطولى ٠ كان فى استطاعته أن يسـتخدم الماضى كوسيلة للهروب من الواقع ، أو كمنطلق نحو الرومانسـية ، أو كتبرير لتصوير ما هو غير معروف أو غير مألوف ٠ لكنه لم يفعل هذا ولا ذاك ، بل وجد فى الماضى وسيلة استطاع

بها أن يسمو بالصورة التى أراد أن يرسمها للعالم البشرى ·

ولا نظهر صفات أبطال هوميروس من خلال تفكيرهم أو أحاسيسهم ـ فذلك ما لا يستطيع الشعر الملحمى عند هوميروس أن يفعله ـ بل من خلال أقوالهم وأفعالهم ، اذ أن أفعالهم تنبع عادة من طبيعتهم · فاذا كانت الالياذة تبدأ بغضب أخيليوس ، ثم يؤدى غضبه الى هزيمة الاغريق، ثم تؤدى الهزيمة الى مصرع باتروكلوس ، فان ذلك له علاقة وثيقة بكيان أخيليوس ، بتلك الروح العالية المزهوة التى تجعل من أخيليوس رجلا يمتاز بقدر من الشراسة والضراوة أكثر مما يمتاز به جميع الرجال الآخرين · واذا كان الحديث عن دهاء أودوسيوس يغلب على الحديث عن شجاعته ، فان شجاعة أودوسيوس هى التى تؤدى به الى الوقوع فى المآزق المتعددة والتى لا ينقذه منها جميعا سوى دهائه · واذا كان هيكتور محاربا مغوارا وزوجا محبا ووالدا حنونا فان السبب فى ذلك هو أن لديه شيئا يحارب من أجله وهو عائلته ومدينته · واذا كان أجا ممنون شجاعا ومترددا ومهيبا ومتعجرفا فان السبب فى ذلك هو أنه يتحمل مسئوليات أكثر مما يتحمله زملاؤه قادة الاغريق وأنه يحس بثقل تلك المسئوليات · واذا كان تليماخوس لا يستطيع فى أول الأمر الصمود فى وجه الطامعين فان السبب فى ذلك هو أنه ما زال صبيا تنقصه الخبرة والحنكة والثقة بالنفس ، لكنه عندما يقابل والده وينتصح بنصحه

فانه يسلك سلوكا متزنا ويتخلص من الخوف والتردد ·
فلمعرفة كيف رسم هوميروس شخصيات أبطاله علينا أن نعرف أولا أن أبطال هوميروس انما يفصحون عن أنفسهم ويؤكدون وجودهم عن طريق أفعالهم ·

لكن هوميروس أدرك صعوبة مهمته عندما أقدم على رسم الشخصيات النسائية فى الالياذة والأوديسا · اذ أن بعض تلك الشخصيات كانت لها بالضرورة أدوار هامة فى الروايات القديمة ، والبعض الآخر كان عليه أن يبتكره ليسد به احتياجات القصة ، فهيلينا ، تلك المرأة الرائعة الفاتنة التى كانت سببا فى قيام حرب طروادة ، وبنيلوبى، تلك الزوجة المخلصة التى صمدت أمام جميع عوامل الفتنة والاغراء أثناء غياب زوجها ، شخصيتان ضروريتان جدا بالنسبة لموضوع الالياذة والأوديسا · كان من السهل على هوميروس أن يصور بنيلوبى فى هيئة امرأة مغلوبة على أمرها تقع ضحية فى يد رجال لا يعرفون الرحمة ولا يقيمون وزنا للشرف أو المروءة · وكان من الطبيعى حينئذ أن تستحوذ على العطف نتيجة لما تقاسيه من اساءة وما يقع عليها من جور · لكن هوميروس قد صور بنيلوبى فى صورة مختلفة تمام الاختلاف · فبنيلوبى تبتكر حيلة تفسد بواسطتها خطة الطامعين وتؤخر موعد زواجها ــ أو اغتصابها على الأصح · وان هذه الحيلة التى تبتكرها لابد وأنها مقصودة لكى تبرز ميزات أخرى فى شخصية بنيلوبى: انها امرأة حريصة تمام الحرص ، اذ أنها لا تقتنع بسرعة

عندما يقف أودوسيوس أمامها ويخبرها بعودته • انهـــا امرأة لا تنقصها الجرأة ، فبالرغم من أنها تشكو مر الشكوى من وحشية الطامعين وتبدو واقعة فى قبضتهم الا أن لها تأثيرا قويا عليهم جميعا ــ كما يظهر بوضوح عندما تخرج لمقابلتهم فى الأنشودة الثامنة عشرة • ان بنيلوبى ليست ضحية لقوى أعظم منها ، لكنها تبكى أحيانا • ولعلنا لانفسر بكاءها على أنه يأس بل على أنه شـــدة حرص وتقدير كامل لموقفها الصعب • أما شخصية هيلينا فلها أيضا جوانبها الخاصة بهـــا • كان فى استطاعة هوميروس أن يصورها ــ كما دأب على ذلك شعراء التراجيديا فيما بعد ــ على أنها ليست فقط مصدرا للشر بل الشر بعينه • لكن هوميروس قد فعل عكس ذلك ، اذ رأى أنه لم يكن من المستحيل عدم قيام الحـــرب من أجل تلك المـــرأة • فهيلينا ــ كما يقول الرجال من فوق أسوار طروادة ــ تشبه الهة رائعة الجمال اذا ما نظر المرء اليهـــا • بل وأكثر من ذلك فقد جعـــل هوميروس جمهوره يحس بهيلينا ويشاركها أحاسيسها • فعندما ترفض مضاجعة باريس الذى اختطفها فانهـــا ترغم على ذلك بواسطة أفروديتا ، التى تقف لها بالمرصاد دون رحمة ولا هوادة • وعندما يلقى هيكتور مصرعه فان بكاءها عليه لا يقل عن بكاء زوجته ووالدته ، بل انها تتذكر فى حزن عميق ما كان يبديه نحوها من عطف على الدوام • وحتى بعد ذلك بعشرة أعوام ، عندما تعود الى زوجهـــا منيلاووس فى اسبرطة ، فانها تتميز بنفس الصفات التى تميزت بها

من قبل • انها تشعر بالذنب ، وتعتقد أنها كانت سبب كل تلك الشرور ، ومع ذلك فانها ترعى مصالح الآخرين فى اهتمام يفوق اهتمامها بنفسها أو بمصلحتها الخاصة • ان شخصيات هوميروس تخضع لموقفها وظروفها ، لكنهـا تبدو أكثر ثراء وأكثر حيوية مما يتطلبه ذلك الموقف وحده وتلك الظروف وحدها • انه يستغل مكانته الشخصية التى يريد تصـويرها لكي يجعل منها شـخصية أخرى تتصف بمزيد من الانسانية وتبعث مزيدا من التأثير •

واذا كان هوميروس قد صور شخصـياته النسائية داخل اطار انساني ، فانه قد احتفظ لتلك الشخصـيات بمســتوى معين متميز • قد تتصف تلك الشخصـيات ببعض النقائص التى يتصف بهـــا باقي البشر ، ولكنهـا ليست شخصـيات ضعيفة أو تافهة • فأغلب شخصـياته لها من الصفات ما تتفق مع بعض الصفات المميزة للعـالم الهوميرى حيث وجدت البســاطة والصراحة والحيـوية • فقصة مساعدة ناوسيكا لأودسيوس الغريب الذى ألقت به الأمواج الى مملكة والدها ألكينوس قصــــة قديمة • لكن هوميروس تناولها بطريقته الخاصة • ان ناوسيكا فتاة فى مقتبل الشباب ، وعندما تشاهد أودوسيوس يخرج عاريا من الماء متجها نحو الشاطيء تخفى وجهها بين يديها وهى تتحدث اليه فى وقار وحشمة ، حتى اذا ما تأكدت أنه قد اغتسل ووارى عورته تنظر اليه وترشده ، كيف يذهب الى قصر والدها الملك كى يحظى بمقابلته • ان هوميروس

بدلك يؤكد نبل ناوسيكا وعراقة أصلها . انها أميرة ذات خلق قويم ، لذلك فهى جديرة بأن تنال شرف انقاذ بطل ومعـــاونته . كذلك بالرغم من أن شخصـــية بريسيس ضرورية بالنسبة لموضوع الالياذة ـ اذ أن استيلاء أجاممنون عليها هو الذى يثير عضب أخيليوس ـ فانها أثنــاء ذلك لا تقول شـــيئا ولا تفعل شـــيئا يقـــدم أو يؤخر من تطور الحدث . انها لا تنطق بكلمة واحدة حتى لا يتهم هوميروس بالادلاء برأيه الشخصى فى النزاع بين البطلين من خـــلال كلمات تلك الفتاة . ولكن بعد ذلك ، عندما يسجى جسد باتروكلوس فى خيمـــة أخيليوس فانها تنطلق فى البكاء وتتحدث عن معاملته الطيبة لها قبل مصرعه . ولهيكتور أيضا زوجة ووالدة ، ولكل واحدة منهما وافعها الخاص ، بل لكل واحـــدة منهما أيضا معاناتها التراجيدية الخاصـــة بها . فأندروماخى الشابة تعتمد على زوجها فى كل شىء ، ومن خلال حبها العنيف له تتنبأ بمصرعه . وعنـــدما تعلم بموته وتشاهد جثته مربوطة خلف عجلة أخيليوس فانهـــا توقن بنهايتها ونهاية طفلها . عندئذ تنقلب فجأة أنموذجا للارملة المحزونة . أما هيكوبى والدة هيكتـــور فهى امرأة عجوز ، قاست من الأهوال ما يفوق الحصر ، فقدت عددا من أبنائها فأصبحت قلقة تنتابها الهواجس والمخاوف على الدوام . انها تتوسل الى هيكتور كى لا ينازل أخيليوس ، وهى تتوسل أيضا الى زوجها برياموس كى لا يغامر بحياته أيضـــا ويقابل أخيليوس من أجـــل استرداد جثـــة ولده

هيكتور ، لكن توسلاتها تضيع هباء فى كل مرة • وبالرغم من أنهـا ـ فى ثورة من الغضب ـ تعبر عن رغبتهـا فى الانتقام من أخيليوس فانها تخضـع فى النهاية لمصـيرها المحتوم وكأنها لا تستطيع أن تتحدى ذلك المصير • انهـا تلعب دور الأم العجوز لبطل قوى ، لكن لها كيانها الخاص بها ، ولها انفعـالاتها وأحاسيسها واتجاهاتها النفسـية الخاصة بها أيضا • ان هوميروس يثير الاهتمام بشخصياته النسائية من خلال تصوير مواقفها ، لكنها تتميز بما هو أكثر من ذلك : انه يركز الاهتمام عليها بدرجة كبيرة حتى أن مواقف الشخصـيات تكشف جوانب عديدة من ذواتها فتصبح كل شخصـية جزءا لا يتجزأ من دراما انسـانية رائعة •

طبقة العـامة :

بالرغم من اهتمام هوميروس الظـاهر بشخصـيات الملوك والنبـلاء ، فانه قد فطن الى أن الصـورة الفنية فى أشـعاره لا يمكن أن تكتمل الا اذا أضيفت اليهـا بعض اللوحات الشعبية والمشاهد التى تضم أفراد الطبقة العامة• والحقيقـة هى أن هوميروس لم يقحم مثل هـذه اللوحات والمشـاهد على مجرى الأحداث ولكنه جعلهـا عنصرا مكملا للصورة العامة لمشاهد الحدث الرئيسى • فعندما يذكر درع أخيليوس الذى صـنعه له الرب هيفايستوس ينطلق فى

وصف المشاهد المنقوشة عليه : عليه نقوش تصور مدينتين، الأولى في حالة حرب والثانية تنعم بالسلام • وعند وصفه للأولى فانه يصور ـ على سبيل المثال ـ كيف يهاجم الأعداء الرعاة الآمنين ، ويستولون على ماشيتهم • صحيح ان جيش الأعداء يقوده الرب آريس والزبة أثينة ، لكن الذين يصيبهم الضرر هؤلاء الرعاة المساكين أفراد الطبقة العامة الذين لا يملكون من أمرهم شيئا • وعندما يتعرض لوصف المدينة التي تنعم بالسلام فانه يصف ـ على سبيل المثال أيضا ـ حفل زواج ويصور كيف يسير الرجال في موكب عظيم ينشدون ويغنون ويرقصون بينما وقفت نساء المدينة على أبواب المنازل يشاهدن الاحتفال • كما يصور مناظر أخرى من الحياة : أناس يحرثون الأرض ، وآخرين يجمعون المحاصيل ، وآخرين يجمعون الكروم ، وماشية تشرب من النهر وهي آمنة • ولكنه من الواضح أن وصف الأعمال الفنية لم يكن شيئا عاديا قبل عصر هوميروس ، لذلك فانه يمكن القول بأن هوميروس ابتكر تلك الوسيلة ليضيف ما يراه ضروريا كي تكتمل الصورة التي يرسمها لعالم البشر كما يتخيلها هوميروس نفسه •

ولقد اتبع هوميروس طريقة أخرى لتصوير تلك المشاهد واللوحات ؛ هي استخدام الصور الفنية والتشبيهات البلاغية • ابتكر هوميروس صورا وتشبيهات بلاغية رائعة أصبحت فيما بعد خاصية من خصائص أسلوبه الفريد •

وربما كان يقصد من وراء صياغة مثل هذه التشبيهات والصور أن يذكر جمهور مستمعيه بفئات معينة من الطبقة العامة • فمن بين مئات الصور والتشبيهات التى ترد فى الالياذة والأوديسا يمكن أن نذكر ما يلى على سبيل المثال : مجموعة من الفلاحين يجمعون محصول الشعير ، مجموعة من الصبية يضربون ثورا ليبعدوه عن حقل مزروع بنبات القمح ، مجموعة من العمال يقطعون شجرة فيشقون ساقها الى ألواح ويصنعون منها سفينة ، امرأة تغزل الصوف حتى توفر القوت الضرورى لأطفالها ، رجل يبكى وهو يودع جثة ابنه الوداع الأخير • صحيح أن التشبيه ظاهرة بلاغية لها مكانها العادى واستخدامها المعروف فى الشعر ، لكن هوميروس غالبا ما يتجاهل القواعد العامة للتشبيه ويسهب فى وصف الصورة البلاغية بينما يوجز ايجازا شديدا فى وصف الصورة الأصلية • ولعل هوميروس يقصد بطريقته هذه أن يدلل على اعتقاده بأن عالم البطولة ليس كل شيء بل هناك أشياء أخرى مألوفة وعادية يمكن أن تلقى على جوانب ذلك العالم البطولى مزيدا من الضوء وأن تمنحه مزيدا من الحيوية وتحقق له مزيدا من الكمال •

العلاقة بين الشخصيات :

لم يكتف هوميروس برسم شخصياته بطريقته الخاصة ، بل كان بارعا أيضا فى ايجاد توازن بين كل شخصية وأخرى وتنظيم جميع تلك الشخصيات تنظيما خاصا بحيث

تبرز معالم كل شخصية معالم الشخصية الأخرى . ففى الأوديسا يضع هوميروس أودوسيوس وأعوانه ـ ومن بينهم الربة أتينة ـ في طرف وجميع الطامعين ومن يعاونهم فى الطرف الآخر . ولعل ذلك الترتيب يبدو لاول وهلة بسيطا غير معقد . أما فى الالياذة فالترتيب يبدو أكثر تماسكا وأشد تعقيدا . انه ينتظم عالمين أو طرفين أيضا : عالما من الذكور فقط وهو ما يمثله جيوش الاغريق ، وعالما آخر من محاربين ونساء وعجائز وزوجات وأطفال ورجال مسنين وهو ما تمثله مدينة طروادة بأكملها . ان هذه المقابلة بين العالمين تلفت الأنظار الى وجود فكرة معينة عن الحرب وتؤكد معنى وجود هذه الفكرة فى أكثر من جانب. ولو لم يفعل هوميروس ذلك لما أصبح الحدث فى الالياذة سوى سلسلة من المعارك الوحشية الضارية التى لا علاقة لها بالمشاعر الانسانية .

فاذا تناولنا شخصية أخيليوس ـ بهذا المفهوم ـ نرى أنه أنموذج للبطل الذى يسعى لتحقيق المجد لنفسه ولشخصه . صحيح أن له أحاسيسه الانسانية ، وخاصة احساسه نحو صديقه باتروكلوس الذى سمح له أن يذهب الى ساحة الوغى بدلا منه والذى كان موته سببا فى كراهية أخيليوس الشديدة نحو هيكتور . وصحيح أيضا أن أخيليوس يحس احساسا قويا بأواصر الزمالة الحقة بينه وبين القادة الاغريق الآخرين مثل أودوسيوس وديوميديس

ونستور ، لكن بالرغم من ذلك فان أخيليوس تسيطر عليه روح العزلة والانطوائية · فما زال والده حيا ، لكنه لايراه على الاطلاق ، اذ يفصل بينهما البحر العريض منذ عشرة سنوات ، تواسيه والدته أحيانا وتنصحه ، لكنها ربة وليست بشرا ، فهى لا تتقيد بالعلاقات البشرية التى يجب توافرها بين الأم وابنها · ان هوميروس يصور الدوافع التى تثير أخيليوس ، كما يصور أيضا مآثره التى ينجزها، وبذلك يضفى على شخصه طابعا انسانيا لا يتصف به سوى بضعة أبطال حقيقيين · لكن بالرغم من ذلك يظل أخيليوس بطلا متمسكا بمثله العليا عن المروءة والمجد ومستعدا لأن يتعذب أو يموت من أجلها · ويشبه باقى القادة الاغريق أخيليوس من ناحية أو أخرى ، ولكنه يفرض نفسه عليهم جميعا بفضل ما يتصف به من قوة داخلية تفوق أية قوة داخلية أخرى لدى أى رجل آخر · قد يعنى ذلك أن أخيليوس يمثل الآخرين ، ولعل السبب فى ذلك هو أن أخيليوس يقوم وحده بكل الأعمال الجيدة التى يقوم بها جميع الرجال الآخرين مجتمعين بل ويؤديها أخيليوس على وجه أكمل · وعلى نقيض من أخيليوس يقف القائد الطروادى هيكتور ، اذ أن هوميروس وضع شخصيته فى قالب مختلف تمام الاختلاف · انه أيضا جندى شجاع مغامر ، لكن عظمته انما تكمن فى أنه لا يمثل روح طروادة فقط بل ووجودها الحقيقى · ان له جانبه الانسانى القوى التأثير ، وخاصة عندما يهدىء من روع زوجته أو يداعب

ابنه الصغير • انه يعرف حق المعرفة حقوق والدته عليه ، ويعامل هيلينا في أدب ورقة • انه هو أيضا الذى يزيد من صلابة عود المقاومة الطروادية ، وهو الذى يقود الجيوش ويهاجم السفن الاغريقية • وهو أيضا الذى يوبخ باريس. انه يعلم أن عليه أن يقاتل أخيليوس وأنه ملاق حتفه على يديه لا محالة • لكنه يقدم على ما نوى في صمت رهيب ، ويذهب الى الموت بخطى ثابتة ، وبموته تبدو طروادة وكأنها هى التى تموت وتفنى •

فان كان أخيليوس يمثل الصورة المثالية الحقة للبطولة الذاتية ، فان هيكتور يمثل صورة متطورة لها حيث أصبح فيها البطل مرتبطا ارتباطا وثيقا بواجبه نحو أسرته ووطنه • واذا كان أخيليوس يمثل النظرة القديمة للبطل ، فان هيكتور يمثل نظرة هوميروس نفسه الى ما يجب أن يكون عليه ذلك البطل •

طبقة المخلوقات الخرافية :

يصور هوميروس فى الالياذة والأوديسا شخصيات خرافية أيضا • والميثولوجيا الاغريقية مليئة بالقصص التى تتناول مثل هذه الشخصيات الخرافية • وليس هناك ذكر لمثل هذه المخلوقات فى الالياذة ـ اللهم الا اذا استثنينا الاشارة العابرة الى مخلوق عجيب يدعى خيمايرا • أما الأوديسا فمليئة بمثل هذه المخلوقات ، وخاصة تلك التى

يقابلها أودوسيوس عندما يصل الى عوالم خيالية ليس لها ما يشبهها من عالم البشر • ولقد اتبع هوميروس طريقتين فى تصوير مخلوقاته الخرافية :

الطريقة الأولى هى تصويرها فى صورة بشعة للغاية وتمييزها على جميع المخلوقات واعطاؤها صـــورة مخيفة كريهة لا يكاد يقدر انسان على أن يتخيلها قط • مثال ذلك عندما يصف سكيلا بأن لها ســتة رءوس ، فى كل رأس منهــا ينبت صف طويل من الأنياب ، وأن لها اثنى عشر رجلا ، وأنها تنبح مثــل الكلاب • انها ــ كمــا يصــورها هوميروس ــ مخيفة كريهة للغاية ، واننا لنتنفس الصعداء عنــدما يستطيع أودوسيوس بعد جهــد مضن الهروب من قبضتها • وملكة جمــاعة اللايستروجنيس شخصية تثير الرعب أيضا ، لكن كل ما يقوله هوميروس هو أنها امرأة فى ضــخامة الجبــل ، منظرها يثير الاشــمئزاز • بل ان بشاعتها تبدو واضحة تمام الوضوح عندما يخبرنا هوميروس أنهــا قد التهمت رجلين من رجال أودوســيوس فى وقت العشاء • أما الكوكلوبس بولوفيموس فان هوميروس يسهب فى وصفه من جميع النواحى • انه وحش ضخم الجثــة ، عنــدما يرقد على الأرض فانه يشــبه نتوءا جبليا يبرز بين قمم جبلية عالية ، انه يستقبل ضيوفه من البشر بطريقة غير ودية على الاطلاق ، يمسك بأكثر من واحد منهم فى احدى يديه ويضرب برءوسهم فى الصخرة ــ كما يضرب

الطفل بدمية يلهو بها ـ فيحطمهم قبل أن يلتهمهم بلحمهم وعظامهم ، ثم يغط في نوم عميق وهو يطفح الدماء المتجلطة من فمه أثناء نومه ٠

أما الطريقة الثـــانية فهي أن هوميروس يحاول أن يضفي على مثل هذه المخلوقات الخرافية بعض صفات البشر ٠ فان كلا من كيركي وكالوبسو ـ على سبيل المثال ـ ساحرة ٠ الأولى لهـــا القدرة على تحويل أفراد البشر الى حيــوانات والثانية تقبض عليهم وتلقى بهم داخل كهفها السحيق ٠ يصور هوميروس كيركي في صورة ساحرة تحول أتبــاع أودوسيوس الى خنازير ، لكن عندما يستطيع أودوسيوس أن يخضعها فانها تصبح صـديقة له وتقدم له العون في محنته ٠ أما كالوبسو فقد جعلها هوميروس تلعب دورا لم يكن من المتــوقع أن تلعبه على الاطــلاق ٠ فهي ربة جميلة فاتنــة ، تعيش وحيــدة في جزيرة منعزلة تقع في طرف بعيد من أطراف العالم النائية ٠ في ذلك المكان البعيد تنقذ كالوبسو أودوسيوس وأعوانه من الغرق ٠ انهــا تقع في غرامه ، وتتعهده بالرعاية والعناية ، وتعرب له عن أملها في أن تعيش معه على الدوام ٠ ومن أجل ذلك تحاول أن تســـقيه كأس الخلود وتخرجه من كيــانه البشري ٠ لكن أودوســـيوس ما زال مشوقا للعودة الى وطنــه وزوجته ٠ وعندما تصدر أوامر الآلهة الى كالوبسو ، فانها تخلي سبيل أودوســـيوس على الفور ، وتعاونه على مغــادرة الجزيرة في سلام ٠ هكذا نجد أن كلا من كيركي وكالوبسو لا يثيران

الفزع فى النفوس ، رغم كونهما مخلوقات خرافية • بل وأكثر من ذلك هو وجود بعض التشابه بينهما وبين أفراد البشر •

وبفضل كل من الطريقتين استطاع هوميروس أن يركز الاهتمام كاملا على البشر • ولقد جعل هوميروس قدرة البشر محدودة فى الالياذة والأوديسا • فهو لم ينسب أعمالا خارقة الى فرد من أفراد البشر ، كما أنه قرب بين قدرة المخلوقات الخرافية وقدرة البشر • فاذا كان من الضرورى أن يقوم فرد من أفراد البشر بعمل خارق فان هوميروس يسارع فينسبه للآلهة • مثلما يحدث عندما ينجو باريس بأعجوبة من الموت أثناء قتاله مع منيلاووس ، فان الفضل فى ذلك يرجع الى أفروديتا ، أو عندما يغير أودوسيوس هيئته فيتحول الى شحاذ عجوز ، فان ذلك يحدث بفضل مساعدة أثينة ، أو عندما تتحدث خيول أخيليوس وتتنبأ بمصرعه فان هيرا هى التى جعلتها قادرة على النطق وهى التى لقنتها الكلمات • وحتى كلب أودوسيوس — فى الأوديسا — فان هوميروس يضفى عليه بعض الصفات الانسانية : فعندما يعود أودوسيوس الى ايثاكا يجد كلبه العجوز لا يقوى على النهوض ، ورغم ذلك ينظر الكلب نحو سيده فى اخلاص ووفاء ثم تفيض روحه على الفور • وهكذا نجد أن هوميروس قد طبع جميع شخصياته بطابع انسانى حتى عند تصويره للمخلوقات الخرافية أو الحيوانات ، مما جعل قصته وحدة يغلب عليها الطابع الانسانى •

طبقة الآلهة :

تختلف طريقة هوميروس فى تناوله للآلهة عنها فى تناوله للبشر • فهناك تناقض ظاهرى فى تناوله للآلهة • لكن يمكن تفسير ذلك التناقض تفسيرا معقولا اذا تعرفنا على طبيعة موقف الاغريق من آلهتهم• فجميع الآلهة الاغريقية ذات هيئــة ناســوتية ، وتصرفاتهم ليست مختلفة عن تصرفات الناس • والفرق بين الآلهة والبشر هو أن الآلهة لا تدركهم الشــيخوخة قط ولا يلحق بهم الموت ولهم من القوة والسلطان ما يفوق ما للبشر منهما • ولقد تسببت هذه النظرة فى خلق اعتقــادات مختلفة بين الاغريق • فليس هناك شك فى قدرة الآلهة • وهوميروس مدرك تماما لذلك الاعتقــاد ، وعليه يعتمد فى بناء أحداثه • فعندما يومىء زيوس برأسه تهتز قمة جبل الأولوميوس ، وعندما ينتقل بوسيدون من ساموثريس الى ايجاى (وهى مسافة لا يســتطيع أن يقطعها البشر فى بضعة أيام) تهتز من تحته الغابات وهو يقطع المسافة فى ثلاث خطوات فقط ، وعندما يعلم بوسيدون أيضا بوجود ســفينة أودوسيوس وسط البحر يرسل عاصفة بحرية تغرق السفينة فى لحظات معدودات •

ان لدى الآلهة قوة خارقة ، لكنهم من ناحية أخرى يقضون أوقاتهم كما يقضى البشر أوقاتهم لو أنهم كانوا ــ مثل الآلهة ــ قادرين على أن يصبحوا فى مأمن من الشيخوخة

والموت • فلأن الآلهة ليسوا مهددين بما يهدد البشر وليسوا ملتزمين بمـــا يلتزم به البشر فاننا نراهم يســـتمتعون بأوقاتهم أيما استمتاع ويتناقشون فيما بينهم على مهل • فآلهة الأولومبوس يمثلون أفراد أسرة واحدة ، دائمـا فى نزاع وصراع فيما بينهم ، حتى أن كبيرهم زيوس يجـد أحيانا صعوبة بالغة فى السيطرة عليهم والحكم بينهم • فعنـــدما يمنعهم من التدخـــل فى القتال بين الاغـــريق والطرواديين ــ فى الالياذة ــ تخدعه هيرا بحيلة أنثوية ، اذ تقدم له الحب والشراب فيدور رأسه وينتشى جســده فينسى أن هنـــاك قتالا يدور بين ســـكان الأرض • وقد لا تستطيع الآلهة فى بعض الأحيان أن تحيط بـكل شىء علما ، فبعضهم لا يعلم آخر تطـورات القتال بين طروادة والجيوش الاغريقية • مثال ذلك عندما تحيط سحابة من الذهب بالاله آريس فتجعـله لا يعـلم بمصرع ولـده أسكالافوس فى ميدان القتال• ذلك جزء من التشابه الكائن بين الآلهة والبشر • وعندما يبدأ الآلهة فى ابراز الجانب البشرى فى طبيعتهم يذهب عنهم الوقار والهيبة ويظهرون فى صورة تثير الضحك • ففى قصر ألكينوس يصف المنشد فيميوس كيف كان آريس يطارح أفروديتا الغرام عندما ضبطه زوجها هيفايستوس فنسج حولهما شبكة غير مرئية حتى يتمكن جميع الآلهة من مشاهدتهما والاستهزاء بهما • ان الوسيلة التى تلجأ اليها هيرا كى تحول انتباه زوجهـا عن القتال ليست أقل اثارة للضـــحك من الحادثة التى

يرويها فيميوس ـ خاصة عندما يخضع زيوس لاغراء هيرا وتسيطر عليه بسحرها فيعدد لها مغامراته العـاطفية مع نساء أخريات ويعترف بأن فتنتها تفوق فتنة جميع النساء الأخريات • وكمـــا أن البشر يقاتل فكذلك الآلهة أيضا تشترك في القتال • لكن بالرغم من النعمة الكبرى التى يتمتعون بها دون البشر ـ وهي عدم التعرض للموت أو الفناء ـ فان تصرفاتهم أحيانا لا ترقى الى مستوى تصرفات البشر • فعندما يصيب ديوميديس اله الحرب آريس بجرح أثناء القتال يصرخ اله الحرب من الألم • وعندما تشـعر أفروديتا باليأس في بعض الأحيان تبكي وتلجأ الى والدتها ديونى أو تبحث عمن يواسيها ويخفف عنها فى محنتها •

قد يكون لمثل هذه المشاهد تأثير يشبه ذلك التأثير الذى تحدثه الفواصل الكوميدية • لكن التأثير الكوميدى لهذه المشاهد لا يأتى نتيجة لعدم احترام الآلهة أو عـــدم الاعتراف بهم ، بل انه على العكس قد يكون نتيجة للاعتقاد الراسخ فيهم • فلقد اعتقد الاغريق أن الآلهة يســـلكون سلوكا قد يسلكه البشر لو أنهم فى يوم ما تخلصـــوا من التفكير فى الشيخوخة أو الموت وألقوا عن عواتقهم الواجبات الصعبة والمسئوليات الجسيمة • فالكوميديا تكون فى هذه الحال نتيجة الأمان المطلق الذى تتصف به حياة الآلهـة • فالاشتراك فى القتال ـ على سبيل المثال ـ ليس مغـامرة حقيقية بالنسبة للآلهة ، طالما أنهم واثقون أنهم لن يموتوا

مهما توالت عليهم الهجمات · ونتيجة لذلك فانهم لايقضون أوقاتا طويلة فى اقامة المآدب وممارسة ألوان الحب والغرام فحسب ، بل ويضحك أيضا كل منهم من الآخر تماما كما يفعل أفراد البشر فى أوقات فراغهم اذ يتخلصون لوقت ما من همومهم · فان كان الآلهة يضحكون كل منهم من الآخر فان ضحك أفراد البشر من الآلهة ليس فيه ما ينافى قواعد الاحترام أو الهيبة ، اذ أن ذلك الضحك ليس الا استمتاعا بمايقوم به الآلهة من أعمال كما يفهمه أفراد البشر أنفسهم· ولما كانت تلك القصص قديمة قدم الوجود البشرى فانهـا كانت تتطور فى بعض تفاصيلها على مدى الأجيال المتعاقبة· ولقد أضـــيف الى تلك القصص كمـا وردت فى الالياذة والأوديسا بعض التفاصيل الغريبة وبعض العناصر التى لم يكن من المتوقع اضافتها · لكن هذه الاضافة ذات أهمية واضحة فى دراسة أشعار هوميروس ·

وبالرغم من تلك السخرية الظاهرية التى يتناول بها هوميروس آلهة الاغـــريق فان تلك الآلهـــة لهم مكانتهم وأهميتهم فى كل من الالياذة والأوديسا · فكل شىء فى النهاية يتوقف على رغباتهم وأهوائهم · وربما كان التفسير المعقول لهذه الظاهرة هو أن الالياذة والأوديســا بحالهما الراهنة قد خرجتا الى حيز الوجود فى عصر كان الاغريق قد بدأوا فى تغيير نظرتهم الى الآلهـة ومحاولة الاهتمـام بأعمال البشر وسلوكهم ومصائرهم · ففى الالياذة تتدخل

الآلهة بصورة مباشرة فى أمور البشر ، لكن أسباب ذلك التدخل لا تلقى دائمـــا تمجيدا أو تمييزا اذا ما قورنت بالمستويات الانسانية • تعكس هذه الحقيقة وجهة نظـر قديمة • فأثناء الحرب الطروادية تتبـــع الآلهة أهواءها وتساعد من يروق لها مساعدته • فأثينة وهيرا يظهـران عداوة شـــديدة نحو الطرواديين بينما تؤيدهم أفروديتا تأييدا مطلقا ، لا لشيء الا لأن باريس قد منح الربة الأخيرة جائزة الجمال وحرم الربتين الأوليين منها • فكل من هيرا واثينة وأفروديتا تسلك سلوك أنثى بشرية عادية ، ويتفق ذلك السلوك مع مفهوم البطولة الذاتية عند الاغـريق • فبناء على ذلك المفهوم أيضا تقتـل الربة أرتميس نيوبى لأنها تفاخرت بجمال أطفالها ، كما يضطهد الاله بوسيدون أودوسيوس لأن الثانى قتل ابن الأول • وهكذا نجد أن الاغريق اعتقدوا فى أن الآلهة تفضل أفراد البشر الذين لا يبخلون عليهم بتقـــديم فروض التقـدير والاحترام • فاذا ما أراد الانسان أن يحقق غرضا ما كان عليه أن يذكر الآلهة بالعلاقات القديمة بين ذلك الانسان والآلهة ويشير أمام محاريبهم الى الأعمـــال التى قام بها من أجلهم كى يستجيب الآلهة لتوسلاته • فعندما يرغب كاهن أبوللون العجوز خروسيس فى استعادة ابنته التى اغتصبها أجاممنون يصلى الكاهن ويتوسل الى الاله أبوللون ويذكره بالعلاقات الودية التى كانت بينهما فى المـاضى ممـا يجعل أبوللون يغضب على الاغريق عامة وينشر الوباء بين صفوف جيوشهم

ان الاله ـ في نظر الاغريق ـ كان يعتبر نفســـه مسئولا ومتضامنا مع هؤلاء الذين قدموا له فروض الولاء والتكريم· وعندما يكون أخيليوس على وشك أن يجرد سيفه من غمده ويقتل أجاممنون تتجلى أمامه أثينة وتمنعه من أن يفعل ذلك · وبالرغم من أن هوميروس لم يوضح سبب تدخل أثينة في تلك اللحظة ، فاننا نعتقد أن السبب فى ذلك هو أن أثينة ترضى عن أخيليوس وتحميه ، لذلك فانهـــا لا تتركه يفعل شيئا يقلل من شأنه أو مجــده البطولى أو يلحق الأذى بقائد الجيوش الاغريقية التى أخذت أثينة على عاتقها أن تحميها وتدافع عنها · وهكذا نلاحظ أن هوميروس كان دائما يفكر فى البشر حتى عندما يتعرض لطبقة الآلهة·

وبالقرب من نهاية الالياذة يروى هوميروس أن سبب قيام حرب طروادة هو « رغبة باريس الجنسية » ، اذ أنه قبل رشوة ـ وهي الاستمتاع بفتنة هيلينا وجمــالها ـ أثناء حكمه بين الربات الثلاث · وهكذا نرى أن هوميروس يعزو أسباب هزيمة طروادة الى فشل الانســــان فى أن يعتدل في سلوكه وتصرفاته مما يعرضـــه لأشد أنواع العقاب · ولعل الاشارة الى ذلك السبب بطريقة عابرة وفى ركن منعزل من الأنشودة الآخرة من الالياذة يوضح طريقة هوميروس في التعبير عن رأيه الشخصي كما أنه قد يؤكد ان ذلك الرأى لم يكن يتفق اتفاقا تاما مع الفكرة العــامة التى كان يعتنقها الاغريق ســـواء فى عصر هوميروس أو

العصور السابقه عليه . أما فى الاوديسا فرأى هوميروس يتصف بمزيد من الوضوح والصراحة . فمنذ بداية الملحمة يناقش الآلهه مقتل أجاممنون على يد كلوتمنسترا وعشيقها أيجيستوس فور عودة البطل من حرب طروادة رغم تحذير الآلهة لأيجيستوس . وتتكرر الاشارة الى هذه الفكرة أكثر من مرة فى الملحمة . ان الهدف من ذلك هو مقارنة أيجيستوس بالطامعين وتأكيد أن الطامعين قد تمادوا فى مضايقه بنيلوبى أثناء غياب أودوسيوس وأنهم يستحقون فعلا ذلك المصير الذى يلاقونه فى نهاية الملحمة على يد أودوسيوس . ولذلك يقرر الآلهة بالاجماع ـ ما عدا بوسيدون ـ مساعدة أودوسيوس على العودة الى وطنه والقضاء على الطامعين . ويقع الاختيار على أثينة لتنفيذ قرار الآلهة ، وتلتزم أثينة بالقرار وتخلص فى تنفيذه ، وتصبح صديقة ومرافقة لتليماخوس ولوالده أودوسيوس. هكذا نجد في الأوديسا أن الآلهة تعاقب الأشرار لمجرد أنهم أشرار . وربما قصد هوميروس بذلك أن تصرفات الآلهة قد يكون لها أحيانا ما يبررها طبقا لمبدأ الجريمة والعقاب وأحيانا تخضع لأهواء ورغبات لا يمكن للبشر معرفة أسبابها .

ورغم ما يتمتع به آلهة هوميروس من قدرة على فعل كل شيء وحرية التدخل فى جميع أمور البشر ، فان ذلك لم يمنع الانسان أحيانا من أن يصنع مصيره بنفسه وأن

يستغل قـدراته البشرية من أجل تحقيق ذلك • فالبشر عند هوميروس يمارسون طاقاتهـم البشرية ، ويكافحون من أجل تحقيق المجد لأنفسهم ، وتسمح لهم الآلهة بممارسة تلك الحقوق • لكن كلا من البشر والآلهة يعرف حدوده ، والبطل الحقيقي هو الذى لا يتطاول على الآلهة أو يتحداهم أو يحاول أن يغير من طبيعته البشرية ويكتسب طبيعـــه الآلهة • فبالرغم من رغبة كالوبسو الجارفة في أن تمنح أودوسيوس الخلود وتجعل منه شخصا لاتدركه الشيخوخة ولا يلحق به الموت ـ بأن تطعمه من طعام الآلهة (الامبروسيا) وتســـقيه من شرابهم (النكتار) ـ بالرغم من ذلك فان أودوسيوس لا يرغب فى تحقيق رغبة كالوبسو بل يفضل العودة الى زوجته ووطنه ويواصـــل حياته بشرا فانيا فى محيط بشرى • ان مهمة أبطال هوميروس فى الحياة هى استغلال مواهبهم البشرية الى أقصى حد ، فاذا ما نجحوا فى تحقيق ذلك أثبتوا أنهم على مستوى المسئولية وأنهـم رجال حقيقيون كاملون • وكما أن الآلهة يســـيرون فى طريقهم الخاص لأنهم آلهة ، فكذلك على البشر أن يجدوا لأنفســـهم طريقا يتفق مع امكانياتهم البشرية ومقوماتهم الانسانية • وما دامت حياة الانسان قصيرة ـ مهما طـال أمدها ـ فعليه أن يتوجها بمنجزات هائلة • لذلك نجـد أن كلا من هيكتور وساربيدون يدعو قواته الى بذل أقصى مافى وسعهم أثناء القتال غير آبهين بالموت بقدر ماهم راغبون فى أن يثبتوا شـــجاعتهم وشدة عزمهم • فالبطـل عند

هوميروس يرى دائما الموت قريبا منه ، لكن ذلك لا يمنعه على الاطلاق من ممارسة الحياة ولا يجعله يتوانى لحظة عن القتال • بل على العكس ، فان فكرة الموت تزيد من صلابة البطل وتطبعه بطابع القسوة والضراوة حتى يستطيع أن يحقق غرضه ويصل الى هدفه المنشود • ذلك هو الفارق الجوهرى بين الآلهة والبشر ، كما رآه هوميروس فى الالياذة والأوديسا : يتصف الآلهة بالصلابة والقسوة والضراوة لكنهم لا يفكرون فى الموت ، أما البشر فيتصفون بنفس الصفات لكنهم يفكرون دائما فى الموت •

بقى أن نعرف أن البشر عند هوميروس لم يعتقدون فى حياة أخرى بعد الموت • فالبشر بعد الموت ليسوا الا أشباحا هزيلة بلاحياة وبلاادراك • فالموت اذن غاية فى حد ذاته وليس وسيلة للوصول الى عالم أفضل • ولأن حياة البشر قصيرة ـ مهما طال امدها ـ ولأنها لا تؤدى الى حياة أخرى أفضل من الحياة الأولى ، من هنا جاء سحر حياة البشر • على الانسان أن يتمتع بكل لحظة من لحظات حياته ، وأن يحقق لنفسه من خلال أعماله الشهرة والمجد والجاه والعزة ولا يرضى لنفسه الهوان أو الذلة أو الاستكانة ، وأن ميتة شريفة مجيدة خير من ألف حياة ذليلة حقيرة • والبطل الحقيقى هو الذى يقدر على مواجهة الخطر ، مهما كان فى ذلك تهديد لحياته أو تعذيب لنفسه أو لبدنه • مثال ذلك عندما يربط أودوسيوس نفسه فى

سارية السفينة ويتحمل آلام قيده حتى لا ينجذب الى منطقة السيرينيات فيكون فى ذلك هلاكه وهلاك رفاقه ، أو عندما يغامر بحياته حتى يتخلص من هول الكوكلوبس وينقذ البقية الباقية من رفاقه • فانسان الالياذة والأوديسا يجب أن يعيش بطلا ويموت بطلا ، فان لم يفعل ذلك فسوف لا يعد فى الأبطال الحقيقيين • ومن هنا نستطيع أن نستنتج استنتاجا خطيرا : هو أن الآلهة ليسوا أبطالا بأى معنى من معانى هذه الكلمة ، بل انه ليس فى مقدورهم على الاطلاق أن يصبحوا أبطالا فى يوم من الأيام ، تماما كما أن الأبطال ليس فى مقدورهم على الاطلاق أن يصبحوا آلهة فى يوم من الأيام • وهكذا ظلت طبقة الأبطال منفصلة تمام الانفصال عن طبقة الآلهة رغم ما قد ينشأ بين أفراد كل من الطبقتين من علاقات •

الحرب والسلام :

أبرز هوميروس فى الالياذة والأوديسا فوائد الحرب ومضارها بالنسبة للبشر • فالبهجة التى تحققها المعركة فى نفوس البشر تبرز فى براعة فائقة جنبا لجنب مع المرارة والأحزان التى تثيرها الحرب فى النفوس • يبدو ذلك واضحا تمام الوضوح فى تصوير هوميروس لزوجة هيكتور وأفراد أسرته الذين ليس فى مقدورهم أن يشاركوه أمجاده لكنهم يعتمدون عليه اعتمادا كليا فيما يتعلق

بسلامتهم وبقائهم . فزوجته أندروماخي تعلم أنه سوف يلقى مصرعه ، وهو نفسه لا يناقشها في ذلك ، بل ان كلا منهما يعلم علم اليقين أن فى ذلك شقاء ولدهما الصغير. وبالرغم من أن هوميروس ينهى الالياذة قبل أن تسقط طروادة فان فكرة سقوط طروادة والأهوال المترتبة على ذلك ترفرف على الدوام فوق رؤوس الطرواديين خلال جميع أجزاء الملحمة . وليست طروادة هي المدينة الوحيدة التى يهوى ملكها وتتحطم أسوارها فيأشعار هوميروس . فلقد دمر من قبل وطن أندروماخي فى طيبة على يد أخيليوس ولقي والدها وسبعة من أشقائها مصرعهم أثناء ذلك . كما رأت بريسيس أيضا بعينى رأسها مصرع زوجها وثلاثة من أشقائها في يوم واحد . لقد فطن هوميروس الى خطورة ذلك الصراع اللانهائى بين أمجاد القتال والثمن الذى يجب أن يدفعه المقاتلون لقاء تلك الأمجاد . لكن هوميروس لم يحاول على الاطلاق أن يوفق بين طرفى الفكرة . ان أعظم مجد يحققه الانسان لشخصه لابد وأن ينتج عنه شقاء يلحق بالطرف الآخر . ولعل هوميروس قد علق على هذه الفكرة بالقرب من نهاية الالياذة . يقول هوميروس ـ على لسان أخيليوس ـ انه توجد جرتان عند أعتاب الأولومبوس، واحدة تحتوى على المصائر المشئومة أى الشر والأخرى على المصائر الميمونة أى الخير ، وان زيوس هو الذى يمنح البشر أيا من هذين النوعين من المصائر . وأفضل الحالات هى عندما تكون حياة الانسان خليطا من هذين النوعين ،

ـكن ذلك لا يحدث الا نادرا • فغالبا ما تتصف حياة الانسان بالشر •

والحرب التى تحقق المجد للانسان هى أيضا ـ فى نظر هوميروس ـ التى تحقق الدمار والمصائر المشئومة لكل من الطرفين المتحاربين • وليس أدل على ذلك مما حدث فى الالياذة : فأخيليوس هالك لا محالة شأنه فى ذلك شان هيكتور • وقد تتوقف المصائر على أهواء الآلهة ، لكن هوميروس لا يلقى كل اللوم على الآلهة • فان كانت الآلهة قد منحت الانسان الفرصة لتحقيق المجد لشخصه فلا أقل من أن يكون الانسان مستعدا على الدوام لكى يدفع راضيا ثمن ذلك المجد الذى أتيحت له الفرصة كى يحققه •

الصداقة والحب :

ان كان هوميروس قد اهتم بتصوير القتال والخصام فى عالم الالياذة والأوديسا فانه لم ينس أن يصور الصداقة والحب أيضا • اذ أن عالم هوميروس ـ كما رأينا ـ عالم بشرى قبل كل شىء ، والبشر يكرهون ويحبون ويتقاتلون ويتصالحون • ولعل أصدق مثال للصداقة هو ما نراه فى الالياذة بين رجلين من بين صفوف الاغريق • فعندما يموت باتروكلوس يسيطر الحزن على أخيليوس • لكنه لا يكتفى بمجرد الحزن ، بل يندفع فى جنون ووحشية كى ينتقم

لصديقه • ولا يقف جنونه عند حد قتل من قتل صديقه .
بل يسحب جثته خلف عجلته الحربية ويدور بها حول
قبر ذلك الصديق كلما اشتد به الحزن • وبالرغم من كل
ذلك لا يرى أخيليوس علاجا لحزنه سوى أنه مقدم على
الموت ؛ فالموت وحده هو الذى يقضى على الحزن الدفين
ويعوض عن الصداقة المفقودة • ولقد أشار هوميروس الى
العوامل التى تؤدى الى نشأة صداقة قوية بين شخصين •
فمطامح كل من أخيليوس وباتروكلوس متشابهة تمام
التشابه ، كما أن مطالبهما فى الحياة أيضا متشابهة •
ويفهم كل منهما الآخر تمام الفهم ، ويطمئن كل منهما الى
الآخر كما يطمئن لنفسه • يضحى كل منهما من أجل
الآخر • فيضحى باتروكلوس بحياته من أجل انقاذ سمعة
صديقه أخيليوس • اذ أن انسحاب أخيليوس من ميدان
القتال قد تسبب فى هزيمة الجيوش الاغريقية ، لكن ذلك
الانسحاب لم يكن الا احتجاجا على ما لاقاه أخيليوس من
اهانة على يد أجاممنون • لذلك فان اشتراك باتروكلوس
فى الحرب بأسلحة أخيليوس وعلى رأس رجال أخيليوس
قد حافظ على سلامة الجيوش الاغريقية وأرضى فى الوقت
نفسه نزعة الاحتجاج فى نفس أخيليوس • ويصور
هوميروس صداقة أخرى نشأت بين رجلين من بين صفوف
الطرواديين : وهما جلاوكوس وساربيدون • فمثلا عندما
يصاب ساربيدون بجرح خطير أثناء القتال فانه ينادى
جلاوكوس ويطلب منه أن يبعد عنه القوات الاغريقية بأن

يلقى بنفسه بينهم فيتجهون نحوه ويحيطون به حتى تتاح فرصة ألنجاة لساربيدون • بل ان ساربيدون يذكر صديقه أنه اذا لم يفعل ذلك فسوف يستحق التأنيب ويلاحقه العار • ولعل ذلك يشير الى واجبات الصديق نحو صديقه، ويؤكد أنه اذا لم يقم كل صديق بواجبات الصداقة خير قيام فلا يستحق أن يكون بطلا حقيقيا •

ولم يتناول هوميروس الصداقة بين رجلين فقط ، بل انه تناول أيضا الحب بين الرجل والمرأة • ينقسم ذلك الحب – كما يراه هوميروس – الى نوعين : حب مرذول وهو الذى ينشأ فى ظروف غير شرعية وبوسائل غير شريفة، وحب مقبول وهو علاقة الود والاخلاص التى تنشأ بين الزوج والزوجة • ولقد ضرب لنا مثالين لكل من النوعين • فالحب المرذول له أثره السىء على المحب وعلى المجتمع على السواء • مثال ذلك حب باريس وهيلينا فى الالياذة • فبالرغم من أن هوميروس لا يدين هيلينا ولا يصورها فى صورة المرأة المخطئة فانه جعلها تبكى حظها وتأسف للظروف التى أرغمتها على أن تحيا تلك الحياة الكريهة التى تحياها• كما أن هوميروس لا يظهر حبا شديدا نحو باريس فى الالياذة ، بل انه غالبا ما يجعل هيكتور يوبخ أخاه باريس ويتهمه بأنه لا يقوم بدور شريف فى المعركة • ويضيف هوميروس الى ذلك المثال مثالا آخر – انه الحب الذى نشأ بين أيجيستوس وكلوتمنسترا أثناء غياب زوجها

أجاممنون . ان هوميروس ـ كما رأينا ـ يشير الى ذلك الحب أكثر من مرة فى الأوديسا ، ويجعل الآلهة تدين أيجيسثوس لأنه لم يستمع الى تحذيرهم .

ومن أمثلة النوع الآخر للحب هو ما نراه بين هيكتور واندروماخى . اننا نلاحظ أن هوميروس يصور فى حرارة ودفء ما يدور بينهما من مواقف زاخرة بالحب والعاطفة ان كلا منهما يحب الآخر حب العبادة والتقديس. ولعل هوميروس قد عبر عن مدى حب أندروماخى لزوجها هيكتور بتلك الكلمات القليلة التى تنطلق بها أندروماخى فى الأنشودة السادسة من الالياذة حيث تقول له : « انك بالنسبة لى يا هيكتور أب رحيم ، وأم جميلة ، وأخ حنون ، وانك أيضا زوج قوى » . وبالرغم من أن هوميروس يرى أن هيكتور يحارب من أجل طروادة فانه يجعله فى موقف من المواقف يقول لزوجته أندروماخى انه لا يأبه بطروادة ولا بوالده ولا بوالدته بقدر ما يأبه بها . والمثال الثانى الذى يضربه هوميروس هو حب أودوسيوس وبنيلوبى . لقد ظل أودوسيوس بعيدا عن زوجته عشرين عاما ، لكنه لم ينقطع عن التفكير فى حبها . ولقد رفض أن يقيم مع الساحرة الفاتنة كالوبسو حين عرضت عليه الخلود لقاء أن يمكث معها ، وأعلن لها صراحة أنه يفضل زوجته بنيلوبى عليها . ولقد ظلت بنيلوبى هى الأخرى مخلصة له ؛ ظلت عشرين عاما تجاهد وتبذل محاولات

عديدة كى تصد عن نفسها الطامعين فيها · لم تنس زوجها الغائب ، ورفضت الزواج من غيره بالرغم من استعداد عدد كبير من النبلاء للزواج منها ·

هكذا نرى الصداقة والحب فى عالم الالياذةوالاودپسا جنباً الى جنب مع القتال والخصام · فالحب عنصر أساسى فى حياة الانسان ، يهذب من سلوكه ، ويخفف عنه فى محنته ، ويهدىء من عنف حياته المليئة بألوان النشاط ·

خاتمة

تتصف الالياذة والأوديسا ببعض خصائص معينة هي في الواقع وليدة للظروف التي أحاطت بنظمهما وانشادهما وطريقة تداول أشعارهما . فلقد نظم هوميروس أشعاره كي تنشد — هذا اذا لم يكن يرتجلها أثناء انشادها . لذلك نلاحظ وجود بعض العبارات أو الجمل أو الفقرات التي تتكرر بصورة لا فتة للنظر أكثر من مرة في أماكن متفرقة من الملحمتين . وقد لا يقبل القارئ الحديث بعض تلك العبارات التي قد يستخدمها هوميروس أحيانا لمجرد أنه اعتاد استخدامها . مثال ذلك عندما يصف السماء أثناء النهار بأنها « ذات نجوم » والسفن الراسية على الشاطئ بأنها « سريعة » . لكن جمهور المستمعين لم يكن لديه الوقت الكافي كي يفكر في كل كلمة على حدة . ولقد فطن المنشد الى تلك الحقيقة ، لذلك فانه لم يكن يعطي الكلمة اهتماما كبيرا كما يفعل الشعراء الذين اعتادوا استخدام الكتابة أثناء نظم أشعارهم . فالجملة — وليست الكلمة — هي الوحدة التي يستخدمها في نظم أشعاره . لكن ذلك لم يقلل من حيوية الشعر أو جزالته ، فبراعة هوميروس واضحة في اختياره لجمله وعباراته .

ولما لم تكن أشعار الالياذة والاوديسا قد كتبت كي تقرأ بل نظمت كي تنشد فقد حرص المنشد قبل كل شيء على أن يشد انتباه المستمعين ، وذلك بأن يروى عليهم حادثة بعينها ، ذات طابع درامي ، تكاد تكون كاملة في حد ذاتها · اذ أنه ليس من المعقول - كما أنه لم يكن أيضا من الممكن - أن يروى المنشد الالياذة والأوديسا كاملة في جلسة واحدة ، بل كان يروى أجزاء منها - تماما كما يجلس الراوى بين جمهور أهل الريف اليوم ليروى على أنغام الربابة حادثة من أحداث أبو زيد الهلالى فى كل ليلة · كما أنه ليس من المستبعد أنه كان لا ينشدها حسب ترتيب أحداثهما ، بل كان يروى الحادثة التي يطلب منه جمهور الحاضرين الاستماع اليها · ونتيجة لذلك بدا التفكك الظاهري واضحا بين أغلب أجزاء الملحمة الواحدة ، مما جعل بعض العلماء يعتقدون أن الالياذة والاوديسا ليستا سوى مجموعة من القصائد المنفصلة نظمت في عصور مختلفة بواسطة شعراء مختلفين ثم قام هوميروس أو منشد غيره بجمعها وترتيبها فى هيئة ملحمتين ضخمتين ·

وحتى لا يتحول انتباه المستمعين عن تطور مراحل الحدث أثناء رواية حادثة من الأحداث فقد تجاهل هوميروس أحيانا بعض التفاصيل أثناء روايته لحادثة معينة رغم أنه يكون قد ذكرها بطريقة مختلفة أثناء روايته لحادثة أخرى تتعلق بالحادثة الأولى · فمثلا فى الالياذة يلقى أخيليوس

بحربته بجوار شجرة ، وذلك حتى يستطيع استخدام سيفه في سهولة أكثر ٠ لكننا بعد ذلك نعلم أنه ممسك بحربته ، دون أن يقول هوميروس أن أخيليوس قد التقط حربته من جوار الشجرة ٠ ومثال آخر من الأوديسا ، عندما تصل أثينة ـ في هيئة آدمي يدعى منتيس ـ الى قصر أودسيوس فانها تضع حربتها على حامل مخصص لوضع الحراب داخل القصر ٠ ثم تغادر المنزل بعد ذلك وهي في هيئة طائر دون أن يوضح هوميروس ان كانت أثينة قد أخذت حربتها معها أو تركتها ٠ قد تبدو هذه الأمثلة غير ذات أهمية ، لكنها تدل على أن الشاعر كان يركز اهتمامه على ما يجذب انتباه المستمعين ولا يكلف نفسه عناء الحديث عن الأشياء التى لا تثير اهتمامهم الا قليلا ٠ فالمستمع قد لا يأبه ان كان اخيليوس قد التقط حربته أم لا أو أن أثينا قد أخذت معها حربتها أو تركتها ، ولكن يهمه أن يعرف أن أخيليوس سوف يستخدم حربته وأن أثينة غادرت القصر ٠

قد تظهر أيضا بعض التناقضات فى كل من الالياذة والأوديسا ٠ ففي الملحمة الأولى نرى ديوميديس بالقرب من بداية الملحمة يهاجم الآلهة ويتطاول عليهم ، لكنه بعد ذلك يعلن أنه لا يستطيع أن يهاجمهم أو يتطاول عليهم ـ دون أن يجد جديد من الأسباب التى تجعله يغير من موقفه ٠ وفى الملحمة الثانية تغير أثينة من هيئة أودوسيوس وتجعله

يبدو فى هيئة شحاذ عجوز حتى لا يكتشف أحد وجوده وسط الطامعين • يحدث ذلك مرتين • وبعد المرة الأولى يخبرنا هوميروس أن أودوسيوس قد عاد الى هيئته الأصلية ، أما بعد المرة الثانية فانه لا يفعل ذلك • لكن ما يقوم به أودوسيوس نفسه من أعمال تجعل من السهل على المستمع أن يفهم مالم يكلف هوميروس نفسه أن يقوله صراحة • وفى نفس الملحمة يضع أودوسيوس وتليماخوس خطة للقضاء على الطامعين ، لكنهما فى النهاية يسلكان سلوكا مختلفا تمام الاختلاف وينفذان خطة أخرى دون أن يقول هوميروس أنهما قد وضعا خطة أخرى أو يوضح السبب الذى من أجله غيرا الخطة الأولى • وفى الالياذة أيضا يودع هيكتور زوجته أندروماخى الوداع الأخير فى مشهد مثير رائع قبل أن يلقى مصرعه • لكننا اذا أمعنا النظر فى الاجزاء التالية لذلك المشهد فسوف نلاحظ أن هيكتور قضى ليلة كاملة مع أندروماخى بعد أن ودعها ذلك الوداع الأخير • ويحدث مثل ذلك تماما فى الأوديسا أيضا حيث يودع أودونسيوس كالوبسو فى مشهد ملىء بالانفعالات، لكنه يظل بجوارها بعد ذلك أربعة أيام كاملة قبل أن يغادر الجزيرة •

قد يعتبر القارىء الحديث كل ذلك أو بعضه عيوبا تقلل من شأن الالياذة والأوديسا • لكنه فى هذه الحالة يكون قد تخطى حدود الزمان والمكان ، واستخدم مقاييس

العصر الحديث في الحكم عن أعمال أدبية ظهرت في الوجود قبل أن توجد هذه المقاييس . فأشعار هوميروس قد مر عليها الآن أكثر من ثمانية وعشرين قرنا من الزمان ، وظهرت في عصر لم تكن فيه وسائل التدوين أو النشر قد أصبحت سهلة ميسورة . كما أنها لم تنظم لتقرأ بل لتنشد . فليس من الصواب أن نتجاهل هذه الحقائق ، وليس من العدل أن نتناساها . ولو علم هوميروس أن أشعاره سوف تكون مادة للدراسة في القرن العشرين فلربما كان قد عدل من أسلوبه في النظم وتخلص من كل تلك المتناقضات حتى لا يتهم بالاهمال أو توصف أشعاره بالتفكك .

وان كانت الظروف المحيطة بظهور الالياذة والاوديسا قد جعلتهما تتصفان بما قد يعتبره قارىء القرن العشرين عيوبا فنية فانها قد جعلتهما في الوقت نفسه تتصفان بما قد يعتبره مزايا . فلقد حرص هوميروس على أن تكون ألفاظه سهلة ، ومعانيه واضحة ، وتشبيهاته مألوفة ، وأسلوبه جزلا متدفقا حتى لا يجد المستمعون صعوبة كبيرة في متابعة أحداث الرواية . كما حرص أيضا على أن تكون المشاهد حية والأحداث مثيرة والشخصيات معبرة ، وأن يجعل الحدث يلحق بالحدث الآخر والمشهد يرتبط بالمشهد التالي حتى يستطيع أن يشد انتباه المستمعين . ورغم كل ما قيل عن الالياذة والأوديسا ـ ورغم كل ما قد

يقال ـ فلعل ما قرأناه فى هذا الكتيب يوضح ما للالياذة والأوديسا من سحر على نفوس البشر مهما اختلفت ميولهم أو جنسياتهم ، ومهما مرت الأجيال وتلاحقت . فسحر الالياذة والأوديسا ـ كما رأينا ـ يكمن فى أنهما يتناولان مجتمعا بشريا . والبشر هم البشر فى كل عصر وفى كل مكان .

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٥/٧٢٥١

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ٠٨١١ - ١

٢٥ قرشـــا

مطابع الهيئة المصرية